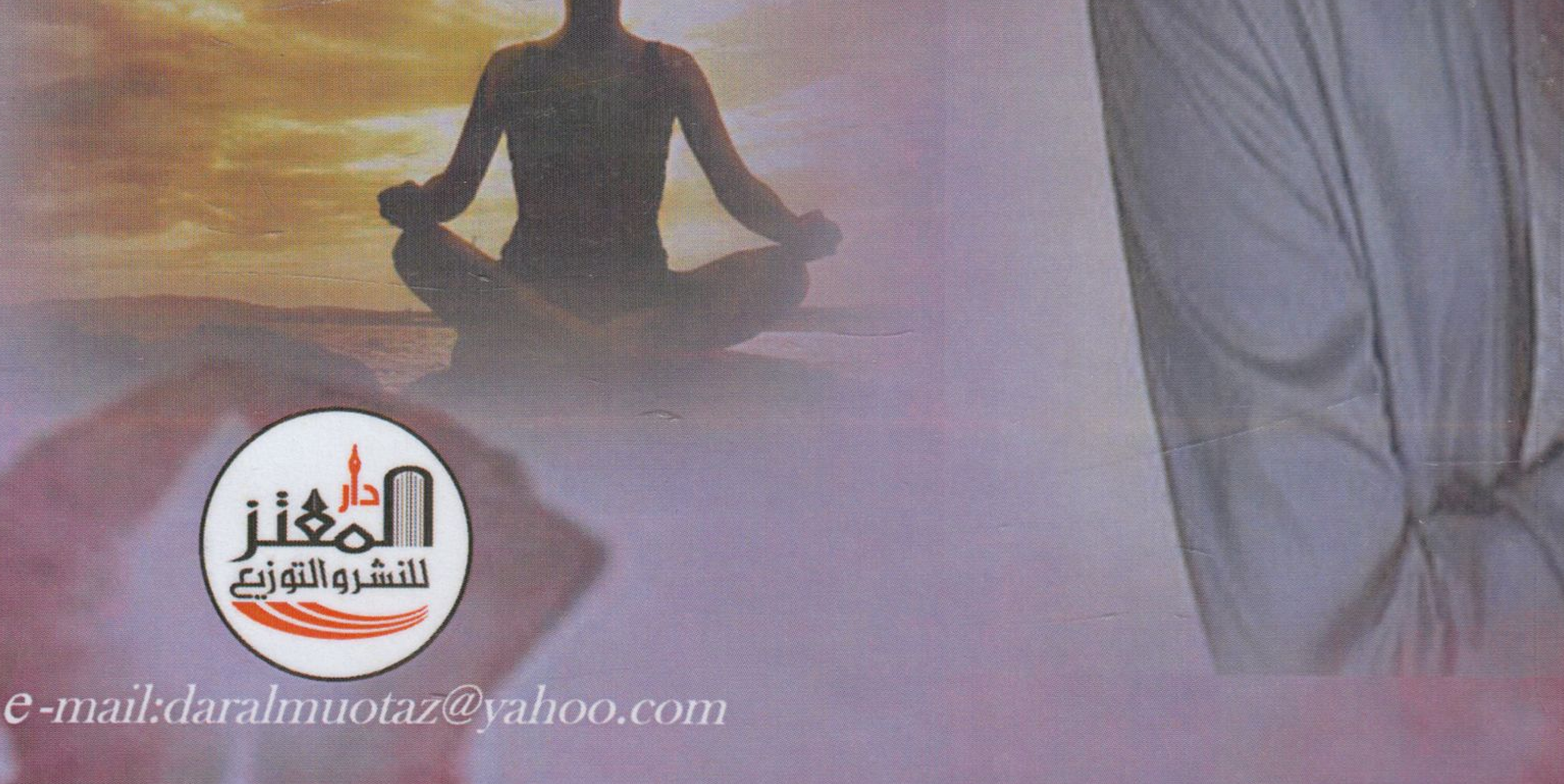
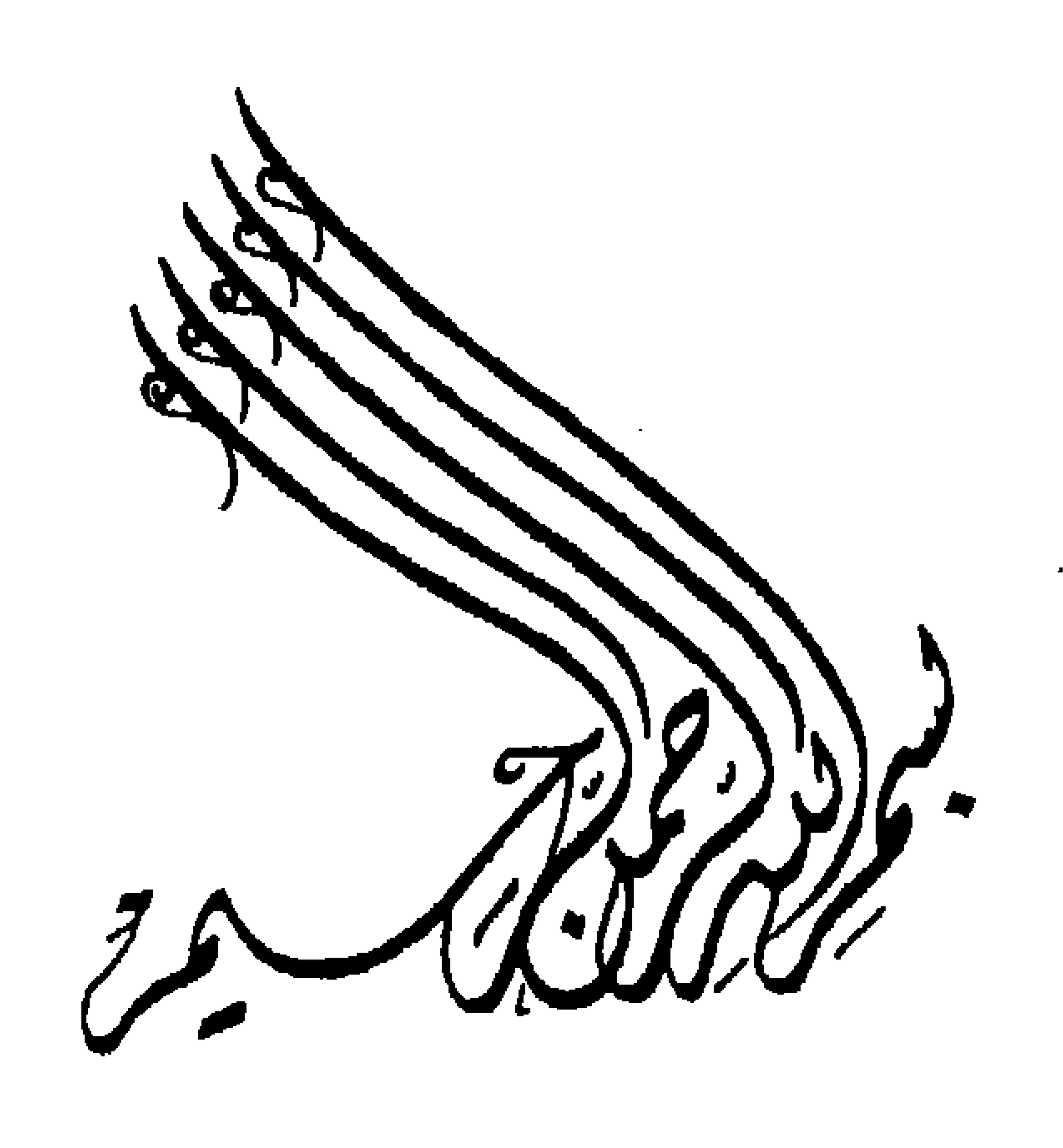


الإيحاء

من السحرالى التنويم المغناطيسي
الى البرمجة اللغوية العصبية



e-mail:daralmuotaz@yahoo.com



الإيحـــاء

من السحرالى التنويم المغناطيسي

الى البرمجة اللغوية العصبية



الإيحـــــاء

من السحر الى التنويم المغناطيسي

الى البرمجة اللغوية العصبية

سامي احمد الموصلي

الطبعة الأولى

2013 م –1434 هـ

الفهرس

المقدمة

حينما يقول العلماء ان الإيحاء قوة نفسية تولد طاقة فيزيائية تؤثر في الإنسان، فإن هذا القول يسلم بداهة بأن الإيحاء إنما هو سحر، لأن السحرتأثير نفسي قبل كل شيء ينعكس على الإنسان في جسده وفي غيره،واذا كنا نقول ان السحر لاحقيقة له فإننا لن نزيد على القول ان السحر هو ايحاء لأن الإيحاء يحدث تأثيره حتى وان كان نابعا عن وهم، وهو بهذا يتفق مع السحر، واذا كان تفسير تأثير السحر عبر مفاهيم التخيل الوهمي – يخيل اليه من سحرهم انها تسعى– وسحروا أعين الناس وجاؤوا بسحر عظيم–، فإن هذا هو المضمون الحقيقي للايحاء حينما يمارس عبر التنويم المغناطيسي فما الذي يختلف فيه السحر عن الإيحاء؟.

إن جوهر عمل السحر هو إيحاء على الآخرين في حين قد يكون الإيحاء على الإنسان نفسه، فالساحر يصب عمله على الآخرين لا على نفسه فهو يعرف الخط الفاصل بين الوهم والحقيقة، ولهذا يبقى هو واعيا بنفسه مدركا لحقيقته – وهذا ما جعل سحرة فرعون يؤمنون لموسى لأنهم رأوا عمله على حقيقته الاعجازية ولو كان سحرا من سحرهم لقالوا كما قال فرعون لهم – انه لكبيركم الذي علمكم السحر – ولكن في حالة الإيحاء فان الإنسان حينما يوحي لنفسه بإيحاءات ايجابية معينة ويزرع لاشعوره – كما يقول علماء النفس– بمفاهيم وافكار ومعتقدات وانفعالات تزرع الصحة وتطرد المرض والوساوس، فانه هنا يتصرف لا كساحر وانما كطبيب يداوي نفسه ويشفي مرضه، فالساحر اذن لايسحر نفسه ولكن الإيحاء يوحي للانسان ذاته ويؤثر فيها.

اذن فالسحر والإيحاء هما حالة واحدة حينما يصبان التأثير على الآخرين وهما حالتان مختلفتان حينما يصب تأثير احدهما على ذات الموحي نفسه ويبقى الآخر في حدود تأثيره على الآخر.

فإذا ما جئنا الى التنويم المغناطيسي نراه يفصل بين التنويم الذاتي والتنويم الغيري، فالتنويم الذاتي يستخدم ايحاءات ذاتية في حين التنويم الغيري يستخدم إيحاءات للتأثير على الآخر – المنوم– ولا يغيب مفهوم السحر هنا ايضا ولكن بمفهوم ضيق جدا من حيث التشابه في الإيحاء المنصب على الآخر لا على الذات،

أما اذا جئنا الى البرمجة اللغوية العصبية – وهي احدث التوظيفات لهذه المفاهيم– فاننا نجده يكون ايحاءا ذاتيا وبرمجة ذاتية، أي انه ايحاء ذاتي وبرمجة ذاتية لا تتعلق بالآخر.

وبغض النظر عن الاختلافات البسيطة بين كل هذه الآليات الا ان الإيحاء يتصرف هنا كقوة نفسية ذات تأثير فيزيائي او فسلجي داخل الجسم او النفس، ان تعدد تعريفات الإيحاء وغموض آليات التنويم المغناطيسي وعدم معرفة حدودها واسرارها جميعا – كما سنرى– ومن ثم تعقيدات العمل السحري منذ الإنسان القديم وحتى اليوم، كل ذلك جعل اختلاط المفاهيم العلمية بالمفاهيم السحرية بل والخرافية يأخذ مساحة كبيرة في سوء الفهم لهذه الحالات الثلاث، ولا يمكن فهمها علمياعلى ضوء تقدم العلوم الفسيولوجية والنفسية والباراسيكولوجية ....الخ الا من خلال التحليل الدقيق لهذه الآليات علىوبضوء الاكتشافات الحديثة في دراسة الدماغ والجهاز العصبي والهرموني والغددي ...الخ.

فما دام الإيحاء قوة نفسية فيجب البحث عن حقيقته داخل النفس البشرية وآلياتها وداخل الجسد الإنساني ووظائفه، فإذا فهمنا كيف تتحول القوة النفسية

المعنوية الى طاقة فيزيائية مادية مؤثرة داخل الجسد وخارجه عرفنا حقيقة الإيحاء والسحر والتنويم المغناطيسي، وعرفنا بالتالي كيف يتعامل المعنى العقلي مع اللفظ اللغوي ليتحول الى حركة فيزيائية مادية منظورة، واذا كشفنا حقيقة هذا الإيحاء وقوته النفسية وتأثيراته الاجتماعية ونتائجه في غسل الدماغ واعادة برمجة الفرد وصولا الى تسيير المجتمع آليا عرفنا عن حقيقة الإنسان وطبيعته اكثر وعرفنا الطبيعة الاجتماعية للانسان كانعكاس سيكولوجي لمجموعة الافراد في تواصلهم.

ان هذه الدراسة محاولة لإلقاء الضوء على المفاهيم الغامضة للسحر والتنويم المغناطيسي والبرمجة اللغوية العصبية انطلاقا من اللفظة الإنسانية ذات الايقاع الفسيولوجي على العقل كمعنى وعلى الدماغ كمادة، وهي تحاول القاء الضوء ايضا على نهاية ما قدمته وتقدمه العلوم المعاصرة من طب وبايلوجيا وكهربائية وانظمة سيبرناطيقية ....الخ.

ان العقل الإنساني الذي حار في تفسير معطياته الفلاسفة والمفكرون عبر التاريخ الإنساني بحضاراته المتعددة نجده اليوم عبر دراسات تجريبية وعلمية وبضوء التقنيات الالكترونية الحديثة يشرح لنا العقدة والهوة التي وقف امامها حائرا عبر هذه الفترة الطويلة الا وهي تحول المعنوي الى مادي او العقلي الى دماغي او بالعكس، فلم يبق هناك حدود ولا ثنائيات بين العقل والدماغ والنفس او الروح والجسد فقد كشفت العلوم الحديثة وخاصة دراسات الإيحاء عن الحلقة المفقودة بينهما.

ان الإنسان هو واحد واما تحليله الى معنى ومبنى او نفس وجسد او عقل ودماغ انما لمحاولة فهمه فقط، نعم قد يكون هناك اهمية اكبر للنفس على الجسد وللعقل على الدماغ وللمعنى على المبنى، ولكن لا يمكن تعريف الإنسان بأحد

شقيه فهو روح وجسد وعقل ودماغ شئنا ذلك ام ابينا كما ان هناك تداخلا حيا بين هذه المسميات جميعا رغم تقدم البعض على البعض الآخر في الاهمية النسبية في حياة الإنسان.

لقد كان جو فريزر اعمق دارس للانثروبولوجيا الإنسانية وصاحب أكبر موسوعة في هذا الاطار -الغصن الذهبي- قد حلل معطيات السحر لدى الإنسان البدائي القديم والمعاصر في مجتمعات لازالت تعيش بدائيتها وتوصل الى قانون الفعل في السحر المبني على ما أسماه السحر التعاطفي والتشاكلي والسحر التواصلي كما سنشرحهما في هذا الكتاب، ولو ربط العلماء بين بعض معطيات الفيزياء النووية المعاصرة وخاصة في التجربة الشهيرة او ما يسمى تناقض انشتاين -برودولسكي-روزين والتي تذهب الى ان التأثير المتبادل بين الكترونين او اشعاعين لليزر اذا كانا متحدين ثم انفصل احدهما عن الآخر وبمسافة آلاف الكيلومترات فإذا اصاب احدهما تأثير معين نجد أن رد الفعل نفسه يحدث للآخر الذي يبعد عنه آلاف الكيلومترات وكأنه هو ايضا تعرض لنفس التأثير، هذه التجربة التي اثبت علماء استراليون مصداقيتها اليوم عبر تجربة واقعية وكان العلماء حائرون في تفسير انتقال هذا التأثير للشعاع الآخر حيث أنه حتى لو سار بسرعة الضوء فانه يجب ان يستغرق زمنا الا انه لايستغرق أي زمن وكأنما ما وقع على الأول انما وقع على الثاني بنفس الوقت مع ان الاول هو فقط الذي تعرض للتأثير وقد كان من تفسيرات انشتاين المجازية ان هناك تخاطرا بين الجسيمات حيث انتقل التأثير للثاني بنفس الوقت، هذه المسألة العلمية الدقيقة التي حار في تفسيرها علماء الفيزياء وبقيت معلقة حتى اليوم نجد أن السحرة القدماء كانوا يستخدمونها - كمعطى معرفي يبنون عليه عملهم السحري الاتصالي والتي تقول ان أي شيء ينفصل عن شيء آخر كان متصلا به فإن أي تأثير على احدهما ينتقل الى الآخر مهما بعدت

المسافة بينهما أي ان هناك وحدة اتصال لا تزال قائمة رغم الانفصال المادي بينهما، ويمارس السحرة تأثيراتهم من خلال هذه البديهية المفترضة فكريا لديهم.

وهكذا نرى ان مفردات الفيزياء النووية المعاصرة تطرح مفاهيم فلسفية لرأب الصدع في هذا التأثير حيث تفرض ان هناك نوعا من السيكولوجية الموحدة في الكون من الذرة الى المجرة ومن هنا ظهرت بحوث السايكوفيزياء والسايكترونيك وما شاكل ذلك فهل ياترى ان العلم الفيزياوي اليوم يجد حل معضلاته في معطيات السحر القديم ونظرياته الخرافية؟.

وهل ان البحث اليوم في الربط بين السيكولوجيا والفيزياء، بين اللاشعور او العقل الباطن والمجال او الحقل الفيزيائي سيحل اشكالات العلم التجريبي؟ وهل ستصدق نظريات يونغ في اللاشعور الجمعي والنماذج والاطر المعرفية حتى داخل الذرات الاولى لتشكل الواقع المادي للكون مع معطيات الفيزياء النووية المعاصرة التي تقف في حيرة امام مثل تناقض انشتاين- بودولسكي-رودين؟ هل ترى ستصل الفيزياء اليوم الى فرض وجود نوع من الوعي داخل الذرة والجسيم لتلتقي مع ما قالته الأديان الاولى والاسلام خاصة من ان كل شيء يسبح الله حسب علمه وطبيعته وحركته ولغته ....الخ؟.

واذا ما راجعنا الاسلام كدين والقرآن كرسالة الهية – وهو الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه-وتتبعنا آليات الإيحاء التي استخدمها في تقوية ايمان المؤمن وزيادته والحفاظ والحصانة ضد آليات ايحائية كافرة، فإننا سنجد ان هذه الآليات قد جاءت مبنية على احدث المعطيات العلمية التي اكتشفت اليوم، لقد قرر الاسلام والقرآن آليات معينة على الإنسان المسلم منطلقا من حقيقة فسلجية اثبتها العلم المعاصر اليوم، الا وهي تأثير الكلام والصوت الإنساني على اللاشعور

الإنساني بمقدار يجعل تحقيق وتعميق الاعتقاد يكون طوع ارادة الفرد الذي يتقبل هذه الحقائق والآيات القرآنية فيرددها في كل وقت وحين من بدء النهار وحتى نهاية الليل.

ان الاختيار الإنساني للايمان بيد الإنسان ذاته اما الحفاظ عليه فقد جعل له القرآن –كلام الله عز وجل – آليات تنسجم مع طبيعة تفكير الإنسان ونفسيته، انه ينطلق من حقيقة سيكولوجية يؤكدها العلم الحديث اليوم في دراساته، وهذا انما يدل على سبق القرآن لهذه العلوم – فليس القرآن كتاب تجريب علمي وانما هو كتاب توظيف ايماني اعتقادي مبني على اساس علمي ومعرفة حقيقية بطبيعة الإنسان والتأثير في غرس وتعميق الايمان عن طريق آليات اللفظ والموسيقى والتكرار، وحين يحرص الاسلام على خمس أوقات للصلاة في اليوم إنما لتعميق الايمان وزيادته في نفس المؤمن لما يكرره من آليات الصلاة وقراءة القرآن فيها والتسبيح ...الخ كذلك حين جعل لقاريء القرآن كذا من الأجر ولمستمع القرآن أيضا كذا من الأجر ....الخ فانما ليساعد الإنسان المؤمن على برمجة لاشعوره أو نفسه بمقويات الإيحاء اللغوي واللفظي المنعكس بالتالي على سلوكه الايماني حتى وجدنا هناك من المسلمين من يسمع آية واحدة وهو عاص يتوب وآخر يسمع آية معينة يغشى عليه من الخوف وآخر يسمع آية معينة يموت في مكانه....الخ.

فالاسلام استخدم اسلوب السلوك المعزز كما يسميه علماء نفس السلوك واستخدم في تعزيزه أقوى الآليات المتوفرة لدى الإنسان وسيكولوجيته لهداية المسلم ثم لتوبة العاصي ثم لتعميق وزيادة الايمان في كل ممارسة من ممارسات الدين الاسلامي وصولا الى استخدام الجوع – الصوم- ذاته مع آليات الصلاة والقرآن لتعميق الايمان أكثر فأكثر.

ان الاسلام يستخدم قوة الإيحاء اللفظية في القرآن وموسيقاه – عبر الترتيل – ومعانيه استخداما علميا لم يصل العلم الى حدوده إلا اليوم، ولعل هذا ما اكتشفه بلغاء العرب الجاهليين حينما اضطروا الى ان يصفوه بالسحر لأن وعيهم له كان كبيرا لدرجة اعتبروه من خارج القدر ة الإنسانية البلاغية المعروفة لديهم ولم يكن لهم القدرة على التعبير عن قوته الايحائية الا بالقول أنه سحر وما هو بسحر فالسحر يعتمد الوهم أما كلام الله فيعتمد الحقيقة وشتان بين السحر والدين وبين الوهم والحقيقة وبين كلام الإنسان وكلام الله.

هذه هي بعض مفردات هذا الكتاب الصغير عسى الله ان ينفعنا بأن يهدي به من ضل ويعقل به من جن ويشفي به من مرض انه سميع مجيب.

ماهية الإيحاء

حينما يشاهد الناس مسرحية او فلما سينمائيا دراميا يتحدث بانفعالات قوية وحزينة عن حالات انسانية معينة يصاب بها انسان ما بظلم او اعتداء من قبل اشخاص آخرين ويعبرون عن حزنهم وآلامهم بطرق معينة سواء بالبكاء او الغناء الحزين او أي اصوات اخرى، نجد ان الناس الذين يشاهدون هذه المسرحية او الفلم السينمائي ورغم معرفتهم بان المسألة لا تتعدى كونها تمثيل في تمثيل نجدهم تدمع عيونهم ولا يستطيعون تماسك نبضات قلوبهم المتسارعة وكأنما المسألة تأثير مباشر على الشخص المشاهد نفسه، هذه الحالة من التأثير الانفعالي انما هي نتيجة إيحاء خفي يحصل لدى المشاهدين ويعبر عنها علماء النفس بأنها ايحاء معنوي.

وحينما يرى أي انسان حدثا مأساويا حقيقيا أمامه مثل سيارة تدهس رجلا او طفلا او امرأة فتقطع يده او تصيبه بضرر بالغ يسيل منها دمه، او رجلا قويا يضرب رجلا ضعيفا بائسا او شيخا او طفلا –مهما كان السبب– فان هذا الإنسان يتأثر تأثرا واضحا وتأخذه الشفقة على ذلك الشخص الذي يقع عليه الأذى او الاعتداء حتى انه قد يحاول مساعدته في الخلاص من ذلك التأثير او الاعتداء –رغم عدم معرفته له ولا سبب الحدث– وهذا ما يسميه علماء النفس ايحاء وجدانيا.

أما حينما نرى انسانا يحاول ان يقلد انسانا آخر في حركاته وسكناته والبسته وتصرفاته وحتى في صوته بسبب كون ذلك الإنسان مغنيا ناجحا او زعيما محبوبا او امرأة جميلة تلبس الموديلات الحديثة او ما شابه ذلك من المحاكاة للنماذج المعينة في مجتمع ما، فإن علماء النفس يسمون ذلك ايحاء حركيا.

ان جميع هذه السلوكيات الانفعالية المتأثرة بالمشاهد الموصوفة هي سلوكيات لاشعورية يتصرف بضوئها الإنسان وكأنها فعل انعكاسي لا ارادي، حيث تدمع

عيونه عند المسرحية او الفلم المحزن وقد ينشج ويبلع دموعه، وكذلك قد يضطرب قلبه وتتزايد ضرباته عند حادثة سير او وقوع أذى وضرر على آخرين لا تربطهم بهم أي علاقة قربى او معرفة، وكذلك قد يقلد حركات وسكنات وموديلات وخطابات الآخرين دون ان يسأل عن القيم والاخلاق لنموذجه الذي يقلده بل يتصرف لاشعوريا بمحاكاته في كل شيء.

من هنا وجدنا علماء النفس يذهبون الى تقرير الحقيقة التالية [1] – (ان الكائن البشري يميل الى ان يسلك بإيحاء من البيئة الاجتماعية دون اقناع نفسه او تحكيم عقله اذا كان ينبغي ان يسلك بهذه الطريقة او تلك) ويفسرون هذا السلوك باعتباره استجابة إيحائية بأقل قدر من التفكير والتأمل الاستبصاري ويستنتجون – ان من اهم العوامل التي تحقق الصلة بين الفرد والمجتمع هو قابلية كل شخص عندما يكون مندمجا في مجتمع الإيحاء –.

اذن فالإيحاء قابلية طبيعية بدهية ولاشعورية تحدث عندما يكون الإنسان في مجتمع ما،وبمقدارتوفر هذه القابلية يكون المجتمع موحدا متكافلا متضامنا بين افراده بمعى ما , وتزداد قابلية الإيحاء عند النساء وعند الاطفال ولدى الجهلة اكثر من الرجال الكبار والعلماء.

ان علم النفس الاجتماعي قد بحث هذه الظاهرة السلوكية في المجتمعات ودور الإيحاء الكبير فيها في خلق وتوحد المجتمع سلوكيا بعد توحده عاطفيا وانفعاليا حيث تبين[2] (ان الإيحاء اسهل منفذ الى عقول الناس ودلت التجارب على ان الصغار والشباب هم اكثر عرضة للايحاء من الكبار المعمرين وهي حقيقة

---

(1) علم النفس المعاصر ص111.

(2) غسل الدماغ ص48.

يعرفها مروجوا الشعارات والجمعيات المتعددة الاغراض، وتزداد قابلية الإيحاء من الرابعة الى الثامنة من العمر، ولعل السبب يكمن في ان لغة الطفل تبدأ بالتكامل في تلك الفترة كما ان الطاعة والرضوخ لآراء الابوين والانا الاعلى -نظرية فرويد- تمهد لهم اطاعة افراد وافكار وايحاءات اخرى، ولا يبدأ الطفل بالتحرر من قيود الإيحاء الا عندما تتكامل ذاته وتنضج ويدرك ان الابوين ليسا بعظيمي القدرة او المعرفة كما توهم اثناء طفولته).

ان الإنسان في الحقيقة لا ينشأ الا وسط ايحاء اجتماعي بما تعنيه كلمة اجتماعي من معطيات البيئة التي تحيط به وتصوغ سلوكه حتى وفق قيم خاصة ووفق ما يتوفر له من وسائل اعلام وتقنيات همها الاساسي التأثير فيه عبر إيحاء مباشر او غير مباشر وحتى التجمعات السياسية والندوات والمؤتمرات ومجاميع الافكار مهما كانت انما تمارس عملها التأثيري عبر قوة الإيحاء ذاته يقول احد علماء النفس[1] (نخضع طيلة حياتنا لتأثيرات إيحائية وستدهش حينما تسمع الى أي مدى تتأثر حياتك بذلك، لقد صقل تصورك الشامل للحياة في عهد طفولتك بدرجة او اخرى بالتأثيرات الايحائية المقنعة لبيئتك الاجتماعية، والديك،والمدرسين، والاصدقاء،والاشخاص الذين كنت تكن لهم الاعجاب، وفي السياسة يوصف مثل هذا التأثير بغسل الدماغ- ولاسيما حينما يمارسه شخص يكون عدوا في نظرنا، غير اننا نخضع جميعا وباستمرار الى غسل الدماغ فالصحف التي نقرأها وبرامج الاذاعة والتلفزيون التي نسمعها او نشاهدها تعطينا دائما معلومات مشذبة،او معلومات محرفة في الاقل بعد اجراء حذف قسم منها ويتأثر في عمله هذا بقناعاته والمصالح التي يمثلها، يتأثر بصاحب امتياز الصحيفة ومحطة

(1) تدريب الادراك الحسي الفائق ص59.

الاذاعة والتلفزيون،مجموعات منفذة، الحكومة، او ربما المساهمين في مصرف او شركة تخصص مبالغ نثرية للاعلانات، وبواسطة مثل هذه الإيحاءات ينشأ الرأي العام الذي ينقاد لتلك الإيحاءات اذ يسترشد به كل فرد تقريبا).

اذن فالإنسان لا يكون اجتماعيا الا عبر تقبله لايحاءات الغير المجتمعية ذات النسق الذي يعكس ايدلوجية ذات المجتمع وقيمه ولولا هذه القدرة التأثيرية للايحاء اجتماعيا لما كان للاعلان التجاري مثلا أي دور في خلق نماذج استهلاكية يقبل عليها الجميع، وهكذا يتحول الإيحاء الى قوة تأثير في جميع الافكار والسياسات والمجتمعات سواء عن طريق قول الحقيقة او تزييف الحقيقة ذاتها عبر وسائل الاعلام وعولمتها ولعل خير من عبر عن استغلال وسائل الاعلام لهذه القدرة الايحائية لغسل العقول واشباعها بمعطيات تناسب سياساتهم هو ما جاء به شيللرفي مقدمة كتابه –المتلاعبون بالعقول – حيث يصف المجتمع الامريكي وتأثير الإيحاء الخفي والظاهر في وسائل الاعلام على المجتمع يقول[1] (يقوم مديروا اجهزة الاعلام في امريكا بوضع اسس عملية تداول – الصور والمعلومات – ويشرفون على معالجتها وتنقيحها واحكام السيطرة عليها – تلك الصور والمعلومات التي تحدد معتقداتنا ومواقفنا – بل تحدد سلوكنا في النهاية، وعندما يعمل مديروا أجهزة الاعلام الى طرح افكار وتوجهات لا تتطابق مع حقائق الوجود الاجتماعي،فانهم يتحولون الى سائسي عقول).

ان قوة الإيحاء وتأثيره الاجتماعي قد تقود المجتمع الى هستيريا جماعية كما ان قوته الفردية قد تقود الى الموت والانتحار او الاستشهاد،حتى وصفه بعض العلماء بأنه التفسير الحقيقي للسحر وقدراته الغريبة في التأثير على الآخرين.

---

(1) المتلاعبون بالعقول ص5.

ولو اخذنا مثلا على قوة تأثير الإيحاء الجماعي لدى الشعوب والتي يصفها عالم النفس بهيستيريا الجماعات ويقول عنهابانها – امثلة صارخة على الإيحاء الشامل الذي يخرج عن ارادة وسيطرة الافراد حيث تنشأ النوبة آنيا وتلقائيا وقد تنتهي بعد ان يكون موضوع النوبة قد انغرس في عقول المئات والآلاف من الناس ويذكر من النماذج على ذلك الرقص البدائي الشعائري المصاحب للموسيقى الرتيبة حتى يكون الإيحاء اسرع نفاذا ومما يذكر في هذا الصدد الرقص الجنوني الذي انتشر بين سكان اوربا بعد الطاعون- الموت الاسود-في القرن الرابع عشر الميلادي حيث يصفهم احد الكتاب قائلا [1] (وعندما كانوا يرقصون فلاهم يسمعون ولا يصرون ولاهم يستجيبون الى الحوافز الخارجية تتراءى لهم الرؤى والهلوسات والارواح التي يهتفون باسمائها بين حين وآخر فاذا ما افاقوا قال بعضهم انهم احسوا كما لو انهم غمروا في امواج من الدماء وكان عليهم ان ينتفضوا عاليا هلعين، واستمر جنون الرقص وانتشر واعتقد الاطباء آنذاك ان الراقصين كانوا مجموعة من البشر الذين اصيبوا بعدوى الهيستريا وهناك نماذج عديدة للايحاء الجماعي الحدث للهستريا).

أما كيف يؤدي الإيحاء احيانا الى الموت فهو معروف بما يسمى – الموت الودوني- او الفودو – وقد كانت تسمى السحر الاسود أما اظهر مظاهر هذا التأثير الايحائي المؤدي للموت فقد ذكره احد العلماء وهو يدرس ما سمي – الاشارة بالعظم- وقد وثقت هذه الحالات بين القبائل الاسترالية ويصفها بالقول[2] (ان منظر الرجل الذي يتعرض الى الاشارة بالعظم من قبل الاعداء منظر يثير

(1) غسل الدماغ ص55.

(2) العقل والجسم ص26.

الاشفاق في الواقع،فانه يقف مذعورا عيناه تحدقان بالمؤشر وبأيد مرفوعة كأنها تنادي واسطة الموت يتخيلها تنصب في جسده خدان ابيضان، عينان تتزججان ويصبح تعبير وجهه مشوها فظيعا يحاول ان يصرخ ولكن الصوت يحتبس عادة في حنجرته وكل ما يستطيع المرء ان يراه الزبد في فمه، جسمه يبدأ بالارتجاف والعضلات تتلوى بصورة طوعية يتمايل الى الخلف ويسقط على الارض وبعد برهة وجيزة يظهر وكأنه مغمى عليه، ولكنه سرعان ما يتلوى ؛ كانه في نزعات الموت، ويبدأ بالانين مغطيا وجهه بيديه ويصبح موته قضية وقت قصير، وتنتج حالات الموت من هذا النوع بكثرة – وتتصف بتغيرات فسيولوجية معينة من – تأشير العظام – وممارسات أخرى مشابهة).

لقد وثقت حالات ومرادفات الموت الودوني او الفودو في العالم الغربي من خلال حالات دراسية عديدة على ان دراسة السحر القديم من قبل العلماء قد اكدت على ان القيمة الايحائية للسحر هي السبب في ذلك بل ان تعقيدات العمل السحري كما يظهر في الممارسات القديمة انما الغرض منها احداث التأثير الايحائي على الآخرين.

لقد استنتج العلماء على ان السحر ايحاء والإيحاء قوة وطاقة تؤدي الى نتائج عجيبة يقول احد الباحثين في هذا المجال[1] (ان القول بالإيحاء الذي يتصور العلماء انهم يستطيعون الوقوف عنده وهم آمنون انهم لن يتهموا في علمهم هو في حد ذاته تسليم بكل قوى السحر والا فما المقصود بمعنى الإيحاء؟ أليس الإيحاء على ما يقولون هو حالة نفسية، فعلى أي اساس تتحول هذه القوة المعنوية الى قوة مادية تنقل الإنسان من حال الى حال؟ ان مجرد التسليم بأن الإيحاء يمكن ان يؤدي الى

(1) الطاقة الإنسانية ص342.

شفاء مرض هو تسليم بان الإيحاء قوة، وكل قوة طاقة، والطاقة تعمل في كل مكان داخل الجسم وخارجه وانكار ذلك هو انكار للعلوم الطبيعية من اساسها).

ان الاعتقاد اللاواعي بقوة السحر او بامكانه ولو لم يجر العمل السحري يمكن ان يقتل الشخص المعتقد، ويتحدث بعض علماء النفس عن قوة الإيحاء لمن يعتقد بالسحر حتى لو كان وهما،بل ان من طبيعة الإيحاء احيانا ايجاد تأثيرات مادية مباشرة سواء كانت مقصودة او غير مقصودة ويضرب لذلك مثلا ما ذكرته زوجة الكاتب الروسي مكسيم غوركي وهو يكتب روايته -بلدة اوكوروف-حينما انقلب تصويره لدقة وشدة الموقف مندمجا في الكتابة الى تأثير مادي عليه ذاته فتقول زوجة الكاتب انه كان في الغرفة المجاورة يكتب[1] (اذ سمعت صوت شيء ثقيل يسقط على الارض،فهرعت الى غرفته فوجدته ملقى على الارض بطوله وذراعاه مبسوطتان، تقول فككت أزرار سترته ونزعت كنزته الحريرية عن صدره لأضع له كمادة على قلبه فرأيت خطا احمر ممتدا من ثديه الايمن الى أسفل وسمعته يقول:آه للألم،قلت له انظر ما ذا حصل لصدرك أجاب آه ياللشيطان، تصوري كم هو مؤلم ان تغرز سكين اللحم في كبدي، فذعرت وحسبته يهذي بغير فكر، وبعد ان صحا تماما أعاد عليها وصف المنظر الذي كان قد كتبه في الرواية).

ولعل اوضح مثال على الموت بالإيحاء الوهمي ما ذكره دكتور شوفيلد وهو ان رجلا عصبت عيناه وقيل له انه سيعدم بقطع شريان في يده فينزف ويموت، جرح يده جرحا بسيطا جدا وسكب الماء على الجرح بطريقة تجعله يسمع نقط الماء تتساقط في الوعاء، فاعتقد انه ينزف من الجرح فمات على الاثر.

---

(1) الحاسة السادسة والطاقة النفسية ص102-103.

هذه هي قوة الإيحاء وتأثيره فكيف يمكن دراسة فعالياته في الشفاء والعلاج وكيف استخدمه القدماء والمحدثون في العلاج؟ وهل لازال له دور طبي مؤكد في غسل الماغ والبرمجة اللغوية العصبية والتنويم المغناطيسي والسحر وغير ذلك؟.

الإيحاء والسحر

حينما نراجع تاريخ الإنسان القديم عبر ما قدمته لنا الدراسات الانثربولوجية والتاريخية نجد ان هناك اختلاطا واضحا بين قدرة الإيحاء الخفية وغموضها وبين السحر، فاذا ما عرفنا ان الطبيب المعالج في التاريخ القديم انما كان هو الساحر بنفس الوقت وهو الكاهن الديني كذلك واذا ما اضفناه لهذه المعرفة ان الامراض مثلا كانت في اعتقادات الإنسان القديم انما هي نتيجة ارواح شريرة تتلبس المريض او انها غضبة من الآلهة الوهمية التي كان يعتقد بها هذا الإنسان،اذا عرفنا هذا فاننا لا نستغرب ان يكون الطبيب المعالج يستخدم آليات السحر الايحائية الخفية والتعازيم والاحجبة لدفع شر الارواح الشريرة المتلبسة بالمريض وكذلك ان يرضي الالهة الوهمية عبر التضحية والفداء وإراقة دم الحيوانات لدفع غضبها وكسب ودها ورضائها.

من هنا فان الدور الكبير للايحاء كان في العلاج الطبي عبر السحر اولا وعبر التعازيم والرقى والاضاحي بالمعنى الديني ثانيا، وحتى اذا ما بحثنا في اعماق الممارسات السحرية القديمة فاننا نجد ان التعقيدات الكبيرة لاي عمل سحري وغموضه الخرافي كان مما يقوي ارادة القناعة عبر ايحاءاته تلك على روح او نفسية الإنسان القديم، (لقد كان العلاج السحري يمارس من خلال شتى صنوف الطقوس – من الرقص واطلاق البخور ودق الطبول والنطق بالرقى والتعاويذ،والمحقق ان السواد الاعظم او على الاقل الاغلبية كانت تشفى وتصح والا لما لجأت الى الساحر واعتقدت في قدرته وقد اصبح العلم الحديث يرى ان تفسير ذلك ميسور فقد كان الساحر يقوم بعملية ايحائية وكان الإيحاء يأتي بالثمرة المرجوة فقد كان الاعتقاد بالسحر قويا، ولم يكن الاعتقاد مقصورا على الساحر

في قوة سحره بل كان قويا كذلك في نفس ملتمس السحر وهكذا كانت تتجمع القوتان لاحداث الاثر فلا يمكن الا ان يحدث)-.

بل ان بعض الاطباء يعتقد ان[1] (التداوي الايحائي اقدم طريقة من طرق التداوي الروحي للامراض اذ يعود تاريخه الى عهد الإنسان البدائي في اول تدرجه نحو المدنية،غير ان الاشكال التي مورس بها في الماضي تختلف من عدة وجوه عن مثيلاتها في العصر الحاضر، فالتداوي الايحائي في العصور السابقة كان ممتزجا بشعوذة دينية او سحرية، والذين يمارسون التداوي الايحائي عند هذه الشعوب مازالوا من رجال الدين او ممن يسمون بالسحرة وهؤلاء يمارسون الإيحاء على شكل تعاويذ دينية او مناشدة سحرية لطرد الارواح المسببة حسب زعمهم للامراض).

ويرى بعض علماء النفس انه من الممكن تسمية الطبيب الساحر القديم الذي يعالج عن طرق الطقوس سحرية معقدة بانه الطبيب النفساني الاول في تاريخ الطب النفسي و يقول (مما لاشك فيه ان الطقوس السحرية التي كان يقوم بها الطبيب- الساحر في الماضي وامثاله في العصر الحاضر قد ادت في الكثير من الحالات الى نتائج ايجابية في شفاء المريض عن طريق التاثير النفسي لاسلوب العلاج...والكثير من وسائل العلاج النفسانية التي تطورت من اساليب الطبيب الساحر تهدف بالواقع الى التاثير على الحالة المرضية للمريض بفعل تاثيرها على- الروح- التي يفترض المعالجون وجودها، كما افترض الطبيب الساحر والإنسان القديم وجودها في كيان المريض،وسواء اتفقنا او لم نتفق مع هذه الاساليب العلاجية فمما لاشك فيه انها افادت في شفاء بعض المرضى في الماضي كما افادت

(1) النفس ص404.

في شفاء غيرهم في الحاضر وقد نجمت هذه الفائدة عن التاثير الايحائي لاسلوب العلاج والإيحاء هو:احد الوسائل الهامة في تسبيب بعض الامراض النفسية وفي علاجها وخاصة في مرض الهستريا)-.

ان الإيحاء والسحر هما توأمان وخاصة في العلاج الطبي ولايستطيع العلماء اليوم ان يفسروا أي شفاء من الشفاءات الخارقة التي كانت تحدث لدى الحضارات القديمة والإنسان القديم بل وحتى اليوم الا بالإيحاء الخفي الذي يحدث في الجهاز العصبي للمريض خاصة فيشفى وان كانت الممارسات السحرية مجموعة من خيالات واوهام ولكن قدرتها على اثارة قدرة الإيحاء على الشفاء هي التي حققت ولازالت تحقق هذا الشفاء وقد كتب احد علماء النفس عن السحر في ضوء علم النفس وهو الدكتور يوسف مراد قائلا ومحلا التاثير السحري الايحائي على مثل هذه الشفاءات[1] (وعامل الشفاء في معظم الحلات التي كان يعتقد انها ناشئة عن تاثير الجن والشياطين هو بلا شك يعرف اليوم بالإيحاء،وكان نجاح العلاج يتوقف غالبا على قابلية المريض للايحاء ومما هو جدير بالملاحظة ا كثيرا من حالات الشفاء العجيبة التي يرويها القدامى كانت خاصة بأعراض هستيرية.

ومن المعلوم ان مثل هذه الامراض لا تصيب الا الاشخاص الذين يتاثرون بسرعة بكل مايوحى اليهم كما انهم يتاثرون بكل ما يوحون به الى انفسهم بطريقة مباشرة او غير مباشرة فلا عجب ان يزيد الإيحاء ماسبق ان احدثه ايحاء سابق والواقع ان عامل الإيحاء موجود دائما في كل محاولة علاج سواء كانت جسمانية او نفسية فقد اعتبر بعضهم الإيحاء الطريق المثلى لمعالجة المراض النفسية وطرق

(1) الطاقة النفسية ص337- عن مجلة علم النفس المجلد السادس ع1 -السحر في ضوء علم النفس.

الإيحاء متعددة نذكر منها:التنويم المغناطيسي،وما يسمى بتحضير الارواح،وحفلات الزار وما اليها من الاجراءات التي تثير المخيلة وتثير الدهشة)-.

والحقيقة ان الدراسات العلمية المعاصرة للممارسات السحرية العلاجية لمجتمعات بدائية عديدة في مختلف القارات من استراليا الى افريقيا الى امريكا اللاتينية وغيرها جعلت العلم الحديث يبحث في طبيعة الادوية التي يستخدمها الساحر فوجدت ان بعضها فيه فائدة طبية ولكن الاكثر كانت وهمية اشبه بما يسمى بالطب الحديث – بلاسيبو– وانما تأثيرها الاساسي يقوم على استخدام آليات الإيحاء الخفي لاحداث الشفاء المطلوب وخاصة بعد ان تقدمت الدراسات الفسيولوجية التي اكدت ان العقل يؤثر في الجسد تاثيرا كبيرا وقد درست الدكتورة جين ماتن جاركوت–وهي طبيبة اعصاب فرنسية في القرن التاسع عشر حالة الشامان في حضارة الهنود الحمر في امريكا فتوصلت الى ان افضل ملهم للامل هو الطبيب[1] (فان نجاح الكاهن شامان– في العديد من المجتمعات البدائية يعزى بصورة اولية الى العوامل النفسية اكثر من القيمة الحقيقية للعلاجات ذاتها فيمكن في الحقيقة النظر الى الشامان او لرجل الطب المعالج كمعالج نفسي قديم –لوحظ منذ زمن بعيد ان ايمان المريض يؤثر بصورة هائلة على مثوله للشفاء فالثقة الداخلية التي يضعها الهنود الامريكان – الهنود الحمر– في الكاهن الشامان تقارن بالثقة التي يضعها المريض في طبيب اكثر تمكنا وتقنية، لقد كانت المهرجانات والصلوات –التي كانت تشكل جانبا من الحياة البدائية – تعمق ذلك الشعور بالثقة).ويصف احد المؤلفين بعض آليات الشفاء المستخدمة بدائيا وكيفية تأثيرها بقوله –ان الطقوس الغنائية المتكررة التي كانت تجري لطرد الارواح الشريرة من المريض قد قربت الشفاء من

---

(1) العقل والجسم ص54.

خلال تأثيرها على الخيال، وبغض النظر عن اعتماد الشامان على معينات طبية وفسيولوجية متنوعة فان اقوى ادواته كان نفسيا وتضمن ادواته الإيحاء والاقناع والتمويه والخوف والتنويم المغناطيسي ومما عزز نجاحه ايمان الناس به وايمانه بنفسه ويتأكد هذا اليوم بدراسات معاصرة يقدمها الكتور كيتمي من جامعة ستي نيويورك حينما بحث فاعلية جميع الاجراءات التي تعتمد عمليات نفسية معقدة حيث يرى[1] (ان كلمة الطبيب اهم من الدواء وحده وهذا يمكن الطبيب من اعادة تنظيم القوة الشفائية لاي موضوع او حجاب في معالجة امراض مختلفة اختلافا كليا وقد عبر عن وجهة نظر شاملة في وصفه لاستخدام رجل الطب الافريقي للعلاج الايحائي، فبينما يمكن ان تكتسب بعض الاعشاب شرعية علمية فان غالبية العلاجات تأتي عن طريق الإيحاء، فالوضع العام الذي يخترعه رجل الطب الافريقي من الزي المزخرف،التعزيم والرقى، والمعرفة بالاعشاب وممارسته لبعض الطقوس – يحدث وقعا على المريض).

ان السحر وطريقة ممارسته وآلياته الغامضة وكلماته السرية او العلنية المبهمة والطلسمات التي يستخدمها والرقى والاحجبة مضافا اليها احداث اصوات معينة وايقاعات على الوعي وغيرها من امور تلتقي مع ايمان المريض وثقته بالساحر الذي كان قد تشبع بها من خلال الروايات عديدة سمعها من الآخرين كل ذلك يلخص عملية التأثير السحري العلاجية وغير العلاجية في كلمة واحدة باجماع الدارسين هي الإيحاء، وهو هنا قوة تأثير وهمية تتحول الى حقيقة واقعية عبر تغير فسيولوجيا الصحة والمرض في جسم الإنسان، ان قوة الإيحاء هنا بدأت بخرافة ووهم عبر الممارسات السحرية لتتحول الى حقيقة مادية تؤثر على عقل المريض او

(1)العقل والجسم ص56.

الشخص المعني فتجعله منقادا الى ايحاءاتها الخفية وكأنه صدمة كهربائية للدماغ او ابرة انسولين تحدث الغيبوبة او تركيب كيمياوي قوي يؤثر في الغدد والجهاز العصبي للانسان، واذا كان السحر قد قام بدوره في التاريخ العميق للانسان – رغم ان هذه الممارسات نجدها اليوم في القرن الحادي والعشرين لا زالت تمارس بأشكال مختلفة – الا ان الممارسات الطبية الحديثة تتجاهلها، مما فرز اسلوبا جديدا كان له التأثير الحقيقي المباشر الذي اعترفت به الممارسات الطبية اليوم والذي يقوم بلا سحر او أي ايحاءات كاذبة بل بممارسة على العقل الباطن او اللاشعور فيزرع الإيحاء مباشرة بدون وعي من الشخص ذاته فيتحقق الغرض المنشود شفائيا او تغيرا سلوكيا هذه الممارسة الايحائية الكبرى هي مايدعى خطأ بالتنويم المغناطيسي وكان يجب ان يسمى التنويم الايحائي وهو ما يسميه به فعلا بعض الاختصاصيين وعلماء النفس فما هو مضمون هذه الممارسة ومدى تعبيرها عن قدرة الإيحاء في التأثير المعجز احيانا؟.

الإيحاء والتنويم المغناطيسي

اذا كان الإيحاء له دور كبير في سلوك الإنسان في وسط مجتمع بحيث ينسجم ويتوافق الفرد مع تقاليد وعادات وثقافات وسلوكيات البيئة الاجتماعية التي ينشأ ويعيش وسطها، واذا كانت وسائل الاعلام تلعب دورا كبيرا جدا في انسان اليوم حتى يمكن القول ان هناك برمجة للسلوك الإنساني فرديا وجماعيا عبر هذه الوسائل وقدراتها الخارقة في التأثير على الإنسان، الا ان اكبر قدرة للايحاء تظهر لا في حالة اليقظة والوعي لدى الإنسان وانما في حالة نومه نوما صناعيا او مغناطيسيا وهذا ما اكد عليه جميع علماء النفس الذين بحثوا هذا العلم في القرن العشرين، وهنا نجابه بحالة خارقة للايحاء عبر النوم يتجاوز حالته في اليقظة، بحيث يمكن التحكم في سلوك الإنسان المنوم لدرجة احداث هلوسات سمعية وبصرية بل وكل الوسائل الحسية الاخرى، ومرجع كل هذا يعود الى الإيحاء ذاته الذي ينصب في حالة التنويم وحتى بعد يقظة النائم على ما يسمى العقل الباطن او اللاشعور كما هي مصطلحات علم النفس، واذا كان العلماء حتى الآن لا يستطيعون ان يقولوا الكلمة الختامية في حقيقة التنويم المغناطيسي وقدراته الخارقة الا انهم لا يستطيعون انكار قدراته عبر الإيحاء خاصة وتأثيره السلوكي.

ولو حاولنا ان نلقي نظرة أولية كمدخل لتعقيدات هذا التنويم وعدم القدرة على الوقوف عند تعريف محدد له فاننا سنجد مصداقية هذا القلق العلمي تجاه حقيقة التنويم ذاتها، ولما كان بحثنا ينصب على الإيحاء فسنركز على قدرات وغرابة التنويم المغناطيسي هذا عبره.

يقول بعض علماء النفس في تعريفه للتنويم المغناطيسي (التنويم المغناطيسي -كما يفهمه علم النفس- يمكن وصفه كحالة افراط في الإيحاء حيث يتلاشى

مؤقتا الضبط الشعوري للشخص على سلوكه ويقبل الإيحاءات على مستوى لاشعوري من الشخص الذي يقوم بتنويمه..بالرغم من ان ما يعرف حاليا عن التنويم المغناطيسي اكثر مما كان عليه ايام مسمر وكان يطلق عليه مسمريزم فان هناك الكثير ما زال سرا عن حالة التنويم نعرف مثلا ان الفرد في حالة التنويم المغناطيسي يتمكن من استرجاع الذكريات من العقل الباطن – اللاشعور– التي كانت منسية وكان من المستحيل استرجاعها في الحالة الشعورية او اليقظة).

ويقول عالم نفس آخر ان– جيمس بريد– اعطى اسم التنويم المغناطيسي لعملية التنويم عام 1841مع انه سبق في استعمال الطريقة وفي وصفها، ومنذ اعطاء التسمية قام الكثيرون باللجوء الى فن التنويم لاغراض علاجية وتشخيصية ومسرحية على ان استعمالها في الاوساط الطبية ظل محدودا لا ينال الا القليل من التشجيع بسبب ما اتصل باسم التنويم المغناطيسي من صفة سحرية،وبسبب من عدم التوصل الى تفسير علمي لمظاهر عملية التنويم وفي السنوات الاخيرة اجازت الهيئات الطبية المتخصصة في بريطانيا امكانية استعمال التنويم لاغراض طبية وايدت فائدة التنويم في تشخيص وعلاج بعض الحالات المرضية، ويؤكد هذا العالم على[1] (ان الاساس العلمي للتنويم من الناحية الفيزيولوجية العصبية مازال بعيدا عن التقرير القاطع وكل ما نعلمه هو ان عملية التنويم تتم عن طريق الإيحاء المباشر يقوم به الشخص الذي يوحي على الشخص الذي يوحى اليه ويكون هذا الاخير قابلا للتأثر بالإيحاء وفي ظروف ملائمة لعملية الإيحاء،ونتيجة هذا التأثير الايحائي تحدث في الشخص حالة من تصدع الوعي تشبه حالة البحران– –TRANCE–وفي هذه الحالة ينحصر انتباه الشخص الخاضع للتنويم بالشخص الذي نومه ويطيع

(1) النفس ص410.

اوامره طاعة سلبية الا في الامور التي تناقض مثله وضميره، ويمكن بواسطة عملية التنويم احداث حالات من النسيان والتذكر والشلل الحركي، وفقدان الاحاسيس والنكوص او الرجوع الى مظاهر سلوكية وعاطفية وفكرية اتصف بها الفرد في سنوات سابقة من حياته وطفولته).

ويركز عالم نفس آخر على الاختلاف بين العلماء والمعالجين عبر التاريخ في هذا التنويم وامكانياته في كثير من الامور وقت الحروب ويقول (استخدم التنويم المغناطيسي منذ اوائل القرن التاسع عشر وهو موضوع اختلف في تقدير خطورته العلماء والمعالجون الا انه حقيقة لاشك فيها وقد استخدم في العلاج النفسي بطريقتين:

الاولى: باستخدام الإيحاء الايجابي في عقل المريض النائم ليلتقط تلك الافكار ويتبناها فتطبع كلها او جزء منها في يقظته وتحدث بذلك تغيرا وتحويرا في فكره واتجاهاته.

والثانية: للحصول على اعترافات نفسية وشروح وتفاصيل مكتومة بطريقة سريعة ومختصرة بدل اللجوء الى التحليل النفسي الطويل الشاق ....ويفضل الاطباء النفسانيون الطريقة الثانية على الاولى لان مجرد الإيحاء السريع معرض للزوال والنسيان فلا يمس لب المعضلة والعقدة النفسية الكامنة عند المريض وقد تجلت الفائدة القصوى للتنويم المغناطيسي في الحروب بالفعل اثناء علاج صدمة القنابل).

ويعرفه آخر بأنه[1] (حالة لاوعي تشبه النوم الطبيعي، ظاهرة غشية يحدثها شخص في شخص آخر فيصبح الشخص النائم في حالة بينة من التقبل والاستجابة

(1) الحاسة السادسة ص100.

لارادة منومه، ولكن يمكنه التصرف تجاه فكرة او حقيقة اشياء كما لو كـان في حالـة وعي عادي وربما بصورة افضل، يمكن جعله اعمى او اخرس او اطرش او ابكم او مبنجا لايحس،يرى الاشباح ويحيا حياة ماضية، يمكن ان تجعله ينسى ما حصل اثنـاء الغشية، ويمكن الإيحاء اليه لعمل شيء في المستقبل).

ويصف بعض العلماء والاطباء عمل التنويم المغناطيسي بانه معجـزة شـفائية فيقول[1] (ان التنويم المغناطيسي وسيلة اتصال مباشر بالعقل البـاطن والتـأثير عليـه واكتشاف خفاياه كما ان التنويم المغناطيـسي وسـيلة مباركـة في يـد الطبيـب الخبير باسـاليبه ومتطلباتـه للوصـول الى شـفاء امـراض يـستحيل شـفاؤها بالادويـة او بالعمليات الجراحية ويعتبر شفاؤها ضربا من المعجزات).

ان الاختلاف والتعدد في تعريف التنـويم المغناطيـسي يرجعهـا الـبعض[2] الى تجربة كل واحد من علماء النفس او المعالجين بها والى زمان كـل منهم،فمـثلا نجـد الاشخاص الذين عاشوا في القرن الثامن عشر يعرفـون كـل شـيء بطريقـة تخـالف الذين عاشوا في القرن التاسـع عـشر، كمـا لا يمكـن ان نفكـر في تعريفـات القـرن العشرين،لقد وصف – مسمر – هذه الظاهرة في القرن الثامن عشر بانهـا نـوع مـن المغناطيسية، اما الدكتور ميلن براموبل فقد كتب عام 1903 يصف التنـويم بـان لـه اصولا مسمرية نسبة الى مسمر في حين ان الدكتور جيمس اسديل قال عـام 1850 بانه نوع مـن التخـدير وحـاول الـدكتور ميلتـون كلايـن ان يعرفـه بانـه حالـة مـن الاستعداد العاطفي، واتفق البيرت موكسنة 1889 مع شاركو انـه مـرض وتحـدث عن اعراض التنويم لكنه اختلف مع شاركو في ان التنويم نوع من الهيستريا، وعرفه

(1) التداوي بالإيحاء الروحي ص47.

(2) الشفاء بالتنويم المغناطيسي ص164111111.

اندرو سولت سنة 1944 –متفقا مع نظرية بافلوف- بانه نوع من رد الفعل المكيف، اما ليسلي لوكرو فكتب سنة 1947يقول بان كلمة تنويم توحي لمعظم الناس بما وراء الطبيعة انها مصنوعة بالشعوذة وكلما قرأنا ما كتب مؤخرا نقترب اكثر من تعريف التنويم حيث يقول الدكتور ارون موسى ان التنويم يشمل الاستسلام الاختياري عن طريق الإيحاءات المختارة لزيادة قابلية المستسلم لايحاءات علاجية محددة، ويضيف ايضا بان حالة التنويم هي حالة طبيعية جدا مثلما ان النوم طبيعي ايضا، وبمعنى آخر فان اغفاءة التنويم مثل حالة النوم اوحالة الصحو

ولعل احسن طريقة لفهم حالة التنويم هي ان تفكر فيها كحالة شبه وعي فعندما تتابنا احلام اليقظة او نسرح في الخيال في هذه الحالة الذهنية نحن لا هنا ولا هناك ولكن في مكان ما بينهما، ويعرف ايزنك التنويم بانه مقدرة الفرد على توجيه كل قوته العصبية في عدد اقل من قنواته العصبية وبالتالي يخفف مقاومته ويسهل مرور طاقته العصبية.

ويبقى التساؤل غامضا ما هو التنويم هل هو حالة طبيعية ام استثنائية؟ هل هو نوم ام يقظة؟ وما هي القدرات الخارقة التي يتمتع بها الإنسان في حالة نومه ولا يتمتع بها في يقظته؟.

لقد كان الدكتور – وليم براين- مؤسس المعهد الامريكي للتنويم المغناطيسي سنة 1955 خير من ناقش هذا الموضوع بعد ان استطاع اقناع الاتحاد الطبي الامريكي والعالمي للاعتراف بالتنويم المغناطيسي، فهو بعد استعراض مختلف التعريفات التي سبقته يقف متسائلا: فما هو التنويم ويجيب[1] (التنويم هو حالة عادية عضوية متغيرة للوعي تشبه حالة اليقظة لكنها ليست الشيء ذاته، قد تشبه

---

(1) النفس ص409.

حالة النوم لكنها ليست الشيء ذاته، وتحدث بوجود شرطين هما اولا مركز لتوجيه الانتباه وثانيا عزل المناطق المحيطة به، ان حالة التنويم تنتج بدورها عن ثلاثة اشياء، زيادة القابلية للايحاء ومركز توجيه الانتباه حسب هذا التعريف قد يكون بصريا او سمعيا او باللمس او بالشم او أي من الحواس الاخرى، وتكون حالة التنويم اكثر عمقا كلما زاد عدد الحواس التي يستطيع المنوم اشراكها في التنويم، وقد يكون مركز توجيه الانتباه حقيقيا او خياليا، وبوجه عام فان حالة التنويم تكون اقوى واعمق اذا كان مركز التوجيه خياليا، ولا يمكن لمركز توجيه الانتباه ان يحقق شيئا اذا لم يتوفر الجانب الثاني في التنويم الا وهو عزل المناطق المجاورة، فإذا كان الشخص المراد تنويمه يهز رأسه ويمسك اذنيه ويفكر فيما حدث له بالامس فانه يصعب تنويمه والسبب في ذلك واضح،هو انه لابد من ايقاف نشاط خطوط الاعصاب الاختيارية تماما لمنع الحركة والتفكير واحداث استرخاء كامل وتوجيه كل نشاط الذهن في مركز توجيه واحد للانتباه في الذهن).

واذا اردنا ان نتحقق من حقيقة علاقة التنويم المغناطيسي بالإيحاء فاننا بمراجعة التاريخ نجد اجابات سابقة واضحة عنها، فحينما كان مسمر يمارس علاجاته المغناطيسية كان يفترض ان هناك شيء يدعى المغناطيسية الحيوانية حيث كان يمسك بقضيب حديدي يشير به الى المرضى ويلمسهم وبعد ان أثار ضجة كبيرة في فرنسا شكلت الحكومة الفرنسية لجنة لدراسة هذا السيال المغناطيسي الذي كان مسمر ينسب اليه هذه القدرة فماذا كان قرار اللجنة[1] (لقد جاء تقرير اللجنة يقول: ان التجارب القاطعة التي قامت بها اللجنة قد دلت بأن التوهم وليس المغناطيسية قد احدثت التأثير العلاجي وبأن المغناطيسية بدون وهم لم تحدث شيئا،

(1) الشفاء بالتنويم المغناطيسي ص158.

واللجنة توصلت الى نتيجة جماعية بان ليس هناك وجود لما يسمى بالسائل المغناطيسي الحيواني، وان هذا السائل ما دام غير موجود فهو عديم الفائدة وان التأثير الشديد الذي لوحظ في المرضى جاء بسبب الاتصال وبسبب اثارة الخيال وبسبب التقليد الميكانيكي الذي يجبرنا على ان نردد او نعيد ذلك الذي يقع على احاسيسنا).

اذن ومنذ البدء بالتنويم المغناطيسي فقد تم تحديد دور الإيحاء في الشفاء وليس للمغناطيس أي تأثير ولهذا فقد بدأ يطلق على التنويم المغناطيسي التنويم الايحائي، لان الإيحاء هو جوهر العملية كلها، ومن هنا كان القول[1] (من الاكيد عند علماء النفس ان التنويم عملية ايحائية تصدر من المنوم للمنوم، من اجل ذلك كان لابد من اختبار قابلية المنوم وهذا الاختبار يجب القيام به قبل التجربة انطلاقا من هذا نجد ان الإيحاء في حد ذاته هو التوجيه للمنوم من طرف المنوم).

ويصف بعض الباحثين الإيحاء في التنويم المغناطيسي بأنه رأس ماله الاساسي ويستخدم مصطلح الإيحاء الذاتي بدلا من التنويم الذاتي بهدف الإيحاءات الايجابية يقول (ربما يكون الإيحاء وهو رأس مال المنوم المغناطيسي هو اقوى جهاز يستخدمه في الهيمنة على العقل وتوجيهه، وتعمل آلات العقل تحت دفع الإيحاء الدائم سواء وجد التنويم او لم يوجد فكل عمل او تجربة في حياة الإنسان توحي اليه بما يجب عليه عمله او عدم عمله حيالها) ويضيف (فاذا كان التنويم المغناطيسي هو طريقة لاستخدام الإيحاء على الآخرين فمن الممكن للانسان ان يمارس الإيحاء على نفسه ويحصل على نتائج طيبة ان لم تكن مذهلة).

---

(1) حواسك الزائدة في خدمتك ص216.

لقد فسر البعض القدرات الهائلة للايحاء عبر التنويم المغناطيسي التي مارسها الاطباء –السحرة في العصور القديمة فيقول[1] (اكتشف هؤلاء انه في الامكان عن طريق حفل رهيب او رقية او اشارات او اصوات او كلمات ايحائية خاصة جعل الشخص ذو الاعتقاد او العابد يذهب في غيبوبة او يقع تحت تأثيرهم بحيث يمكنهم احداث تغير ذهني وفيزيقي في مثل هؤلاء الناس، ولم يكونوا يدركون غالبا الا اليسير عن القوة التي استخدموها ولكنهم كانوا معجبين بما اعطتهم قدرة التنويم المغناطيسي من هيبة وسيطرة على الآخرين،فشيء من التدليك باليد او بعض كلمات تنطق ويصبح بعدها الشخص مستجيبا للوقوع في حالة نوم كان عملا ساميا يجعل هؤلاء المنومين في درجة متباينة عن قومهم فهم قد منحوا مواهب خاصة).

ولم يقف دور الإيحاء في التنويم المغناطيسي عند علماء النفس بل توسع مداه الى ابحاث علماء الباراسيكولوجيا الذين يعتبرون التنويم المغناطيسي من المداخل المهمة لاحداث وتطوير القابليات الخارقة او الظواهر الخارقة لدى الإنسان بما يعنيه هذا من استخدامات الإيحاء ذاته في التنويم، يقول احد هؤلاء العلماء بان التنويم المغناطيسي طريقة فعالة لتنشيط الادراك الحسي الفائق، ويعرف التنويم المغناطيسي من وجهة نظره بانه –الحالة التي يكون فيها احد اجزاء الدماغ يقظا والاجزاء الاخرى نائمة، ولايجوز لنا ان نفهم عبارة –جزء من الدماغ- بوصفها تسمية لمنطقة مكانية واضحة المعالم في تركيبة الدماغ، وحينما يبحث عمق تأثير الإيحاء في التنويم المغناطيسي والمدى الذي يمكن ان يصل اليه يطرح الاسئلة التالية ويجيب

(1) حزاسك الزائدة في خدمتك ص199.

عليها يقول[1] (هل يمكن التأثير بقوة في الشخص المنوم مغناطيسيا من خلال الإيحاء حتى يستغل لفعل اجرامي او فعل لا اخلاقي؟ يجيب انه كما بالامكان التأثير في شخص ما لاقتراف اعمال اجرامية بدون التنويم المغناطيسي ايضا ويعد هذا ممارسة ضغط كاف عليه مثلا بتعريضه الى فوائد مالية مغرية او تهديد وما شاكل ذلك، بوسع الإنسان اقتراف عمل اجرامي وهو تحت تأثير التنويم المغناطيسي ولكن ينفرد بذلك الشخص ذو النزعة الاجرامية الذي له استعداد لفعل الشيء نفسه في حالة اليقظة، ويستنتج: ان الإنسان لا يتصرف في حالة التنويم المغناطيسي على نحو مضاد لمبادئه الاخلاقية، ليصل الى القول بان (الشخص الخاضع للتنويم ليس دمية لا حول لها ولاقوة في ايدي المنوم المغناطيسي – بالمناسبة يمكن التأثير في بعض الاشخاص تأثيرا قويا من خلال الإيحاء في حالة الصحو ايضا —وبما ان حالة التنويم المغناطيسي هي حالة بين النوم واليقظة فبوسعها التطور في اتجاهين:اما باتجه اليقظة او باتجاه النوم)، ومع هذا فإن دراسة الآليات العصبية والدماغ في حالة التنويم المغناطيسي وايحاءاته تؤكد انه[2] (عندما يوجد شخص ما في حالة تنويم مغناطيسي يكون استعداده للايحاء عاليا جدا، فيستطيع المرء الإيحاء بكل شيء تقريبا،أي كل ما قد يخطر على البال، ان المنوم سيستقبل الإيحاء عن طية خاطر، يمكن الإيحاء له بانه لا يستطيع تحريك يده، ولا استدارة رأسه وهو ليس قادرا على النهوض من كرسيه،كما لايستطيع تلفظ اسمه،انه يرى اشياء او اشخاصا ليس لها وجود ويسمع اصواتا او موسيقى غير موجودة، ويشم روائح غير موجودة، انه يشعر ببرد او حرارة بجوع او ظمأ، يمكن الإيحاء له بأن الليمونة

(1) تدريب الادراك الحسي الفائق ص49.

(2) تدريب الادراك الحسي الفائق ص55.

هي تفاحة وان زجاجة ملفوفة هي باقة ورد عطرة،فكر بما يحلو لك فالشخص الخاضع للتنويم المغناطيسي يستقبل الإيحاء ويتصرف بموجبه).

أما تفسير ذلك فيرجع الى ان هذا السلوك الغريب برمته قائم على التنشيط الاختياري او الاخماد الاختياري للأجهزة الوظيفية المختصة في الدماغ ليس الا.،واذا ذهبنا الى ابعد في الإيحاءات المعقدة فإننا نصل الى اننا نستطيع ان نوحي الى الشخص المنوم انه يقود سيارة، انه يطير في طائرة، يرقص في حفلة راقصة،يتسلق جبلا يتبارزمع شخص آخر، يدخن سيكارة لا وجود لها، او يمكن الإيحاء له انه اصبح اكثر شبابا،رجع طفلا، انه رجل مسن او امرأة عجوز، انه ملك او قبطان سفينة حربية، باحث ....الخ انه سيقبل بالدور الموحى له، ويمكننا ان نوحي له بأدوار شخصيات من التاريخ، قيصر،بوذا، جنكيزخان، او نابليون وهو يقود احدى حملاته، او سقراط امام محكمة اثينا .... الخ.

لقد ثبت كما يقول الباحثون ان باستطاعة الإيحاءات احداث تغييرات موضوعية في الجسم ومن الثابت ان تحفيز الجهاز العصبي يستطيع ان يؤثر في الجسم، فالإيحاء المناسب في حالة التنويم المغناطيسي يغير ضغط دمك اضافة الى تغير ذبذبات النبض،تركيب الدم وافراز عصارات الجسم، فإذا كان الإيحاء يفيد مثلا ان المريض المنوم مغناطيسيا تناول كميات كبيرة من الحلويات فسيعمل ذلك على رفع نسبة السكر في دمه، والإيحاء انه شرب ماء كثيرا سيزيد من افراز الادرار، ولا يحتاج المرء ان يكون في حالة تنويم مغناطيسي بتاتا من اجل احداث مثل هذه التأثيرات اذ ان العوامل النفسية تؤثر في جسمنا حتى في حالة اليقظة، فاذا ارتبك المرء يحمر وجهه كما يعمل الخوف على رفع ضغط الدم.

ان ما وصل اليه العلماء يمكننا من احداث تغييرات مستمرة في الجسم عن طريق ايحاء التنويم المغناطيسي، وهذا ما حصل فعلا ويحصل عبر الإيحاء العلاجي والصحي للانسان المنوم، ومن هنا طرح مفهوم الإيحاء الذاتي سواء عبر التنويم الذاتي وترديد الإيحاءات او حتى في اليقظة كذلك، وهكذا يصل العلماء الى ان كل شخص قادر على خلق حالته النفسية الخاصة وطبيعته وعاداته بصورة هادفة من خلال الإيحاءات الذاتية وبالفعل يستطيع كل فرد ان يبني شخصيته الخاصة ويجعل من نفسه انسانا سعيدا ناجحا ...

ويبقى السؤال هنا هل ان الإيحاء هو السبب في التأثير ام التنويم المغناطيسي له أثره ايضا الا ان الاجابة لن تختلف هنا كما يقول العلماء[1] (فسواء كانت النتائج التي تتحقق عن طريق التنويم تنتج عما نسميه بالتنويم او عن طريق ما نسميه بالإيحاء أثناءه فان الحقيقة الثابتة هي ان الوظائف الجسدية تتأثر تأثيرا كبيرا بالمؤثرات الخارجية وبغض النظر عن الطريق فانها تعطينا اهمية بيولوجية واضحة وتعطينا اول اتصال مباشر مع عقلنا الباطني).

(1) الطبيعة الخارقة ص96.

الإيحاء بين السيكولوجيا والفسيولوجيا

حينما يبحث علم النفس الإيحاء فانه يقر بقوته وتأثيره ويعترف بأنه يمكن عن طريقه احداث مختلف التأثيرات العلاجية والسحرية والتنويمية ....الخ ولكنه يبقى في حدود البحث الفكري وما يفرزه من ترابطات منطقية وفلسفية ونظرية، وبالتالي فهو يقر ان الإيحاء يمكن ان يكون وهما ومع هذا يحدث التأثير المنشود، اذن فالقيمة الحقيقية للايحاء هنا هي في النتائج التي يحققها وليس في اسباب حدوثه التي يجب ان ترتبط بالمادة الحقيقية للاشياء التي تتأثر وتؤثر، اذن فعلم النفس ليس لديه الا قول واحد في تفسيره هو ان العقل يؤثر في الجسم وآلياته ولهذا يحدث الإيحاء هذا التأثير، أما كيف يؤثر العقل في الجسم فان علم النفس يقف حائرا هنا لان هذه المسألة شغلت جميع المفكرين والفلاسفة والعلماء منذ الحضارات الاولى ولم تستطع كل دراساتهم ان تجيب اجابة شافية عن هذه الكيفية، بل ان الطب حتى اليوم وهو يستخدم ادوية وهمية يطلق عليها بلاسيبو لا تأثير حقيقي لها وانما يستحث بها الإيحاء لدى المريض الذي يؤمن بالادوية وبالطبيب، حتى هذا الطب لم يقل لنا الصيدلانيون كيفية حدوث الإيحاء وتفاعله داخل الجسم بحيث يحدث الشفاء بالدواء الوهمي.

من هنا كان ان ادلى الفسيولوجيون بدلوهم واستطاعوا علميا وليس فكريا، ومختبريا وليس نظريا تتبع آليات التأثير الايحائي على وظائف الاعضاء في الجسم وفسلجيتها، وبهذا يمكن القول ان الإيحاء قد تحول من البعد الفكري النظري الفلسفي الى الواقع العملي التطبيقي العلمي والمختبري، وبهذا تكون الفسيولوجيا قد اجابت عن التساؤل الكبير الذي لم يجد له جوابا لدى علماء النفس والفلاسفة عبر التاريخ الفكري للانسان الا وهو علاقة النفس بالجسم عبر تحول الإيحاء الذي

هو نفسي الى آليات فسلجية يمكن رصدها في الجسم وتغيراته حسب الإيحاء النفسي هذا فماذا قال علم النفس وما يقول الفسيولوجيون عن الإيحاء وآليات تأثيره؟

سيكولوجيا الإيحاء

لو بدأنا بدراسة ما قدمه بعض علماء النفس لتفسير الإيحاء نظريا فسنجد ان هناك من يتحدث عن ان الفكر قوة او ان للفكر مغناطيسية معينة تؤثر على الآخرين يقول احد العلماء[1] (المغناطيسية الشخصية عبارة عن تيار موجات رقيق او ذبذبات افكار صادر عن دماغ الإنسان، وكل فكرة منفردة من افكارنا عبارة عن قوة توتر كبير او صغير يتوقف مقداره على الزمن والاثارة المصاحبين لتوتر القوة)، وفي محاولته لشرح هذا المفهوم يحاول ان يطبق قانونا فيزياويا في مجال نفسي فيضيف (فلو تصورنا انه يصدر عنا ثمة تيار ذو خاصية رقيقة ينتشر كشعاع الضوء ويؤثر على افكار الآخرين الذين غالبا ما يكونون بعيدين عنا لتبين ان الفكرة القوية الملحة تؤثر وكثيرا ما تغلب مقاومة الآخرين العفوية ضد تأثيرات الغير، وفي الوقت ذاته فان الفكرة الضعيفة ليست قادرة على ايجاد منفذ في الحصن العقلي الصغير حتى وان كان هذا الحصن محميا حماية رديئة، ان الافكار المستخدمة بانتظام باتجاه واحد وعلى نحو واحد غالبا ما تفتح لنفسها عند الاعادة منفذا في الموطيء الذي تلاقي فيه موجة الفكرة المنفردة مجابهة حتى ولو كانت قوية،نحن هنا بصدد استخدام قانون فيزياوي في مجال نفسي، وإزاء تأكيد القول المأثور بشأن قطرات الماء الساقطة على مكان واحد والتي من شأنها ان تحفر في نهاية المطاف).

---

(1) قوة الفكر في الحياة العملية ص19.

اذن يأتي التفسير هنا من ان الافكار ذات قوة وطاقة فعالة اذا استخدمت بشكل متكرر فانها ستؤثر في عقل المتلقي مهما كانت هذه الافكار ضعيفة فهي اشبه بقطرات الماء الساقطة على حجر فعبر التكرار لابد ان يتأثر الحجر.

وهناك من يعتبر ان الافكار ذاتها اشياء لان لها قوة تذبذبية او موجة تنقلها – فكل فكرة قوية كانت ام ضعيفة،سيئة ام جيدة،سليمة ام سقيمة، تثير عند نشوئها امواجا تذبذبية تمس كل من يمت الينا بصلة او يتواجد في دائرة افكارنا، وبالامكان مقارنة امواج الافكار بالدوائر المتكونة على سطح بركة ما حين يرمى فيها بحجر، واضح ان قوة الفكر تتجلى اكثر هناك حيث يغلب اندفاع الامواج الفكرية–.

ولكن اذا استطعنا فعلا ان نزرع فكرة ما في عقل شخص ما فما هو السبب الذي يجعله يمارس هذه الفكرة ويحولها الى سلوك؟ هنا نجد احد علماء النفس يقول وهو يتحدث عن نقل السلوك او الإيحاء الحركي عبر المحاكاة[1] (وبوجه عام يمكن القول باننا لانعمد الى محاكاة السلوك شعوريا ولكن يبدو اننا نرى السلوك أثناء أدائه فإذا ثبت انه ايحاء لنا نقبله ثم نجد انفسنا –دون تفكير او تخطيط من جهتنا – مستعدين لأدائه، وأثناء تأدية الفعل نحن ندرك انفسنا ونحن نؤديه، يحدث هذا حسب ما يسميه تشارلز بادوين – قانون الإيحاء– اذا ثبتت فكرة ما في العقل فإنه يوجد لدى الفرد ميل للتعبير عنها بالفعل –، وحينما تكون هذه المحاكاة سارة فان الشخص يميل الى تكرارها حتى تتحول الى عادة متحكمة).

ان الإيحاء المباشر عبر الحديث والاقناع بالافكار الايجابية هو عملية مستمرة دائمة بدوام الحياة الاجتماعية للانسان وهي تتم عبر الحديث المباشر بين الفرد والآخر ولكن هناك ايحاء غير مباشر ايضا وبدون كلام عبر بث موجات الافكار في

(1) علم النفس المعاصر ص115.

وسط ما اعتمادا على قانون آخر هو جاذبية الافكار المتشابهة بعضها لبعض الذي يقول – شبيه الشيء منجذب اليه-.

لقد وصل الحديث في الاتجاه النفسي ان يتحدث العلماء عن ان الافكار هي جوهر الاشياء[1] (فالفكرة ليست قوة دينامية فحسبب بل انها ايضا شيء ملموس شأنها شان أية مادة اخرى،الفكرة ما هي الا الشكل الارق للمادة او انها الشكل الاغلظ بعض الشيء للروح، والروح ما هي الا الشكل الارق للمادة في الطبيعة، توجد على العموم مادة واحدة ولكنها تتخذ اشكالا مختلفة ابتداء من الحالة الصلبة كما نقول وانتهاء بالشكل الاثيري للروح، وحين نفكر نرسل في العالم الخارجي ذبذبات بأعلى درجات المادة – الجوهر- رقة وأثيرية والتي توجد تماما كما يوجد البخار والغاز والاجسام السائلة والصلبة، فنحن لا نستطيع مشاهدة الافكار كما لا نستطيع رؤية الغاز وكما هو حال الهواء النقي ليس بوسعنا ان نشم او نذوق الفكرة ولكن بوسعنا ان نحس الفكرة وهذا اثبت مرارا وهي عبارة عن ذبذبات تفوق الذبذبات المغناطيسية لمغناطيس قوي باستطاعته جذب مادة فولاذية ثقيلة).

أما كيف يثبت هؤلاء قانون التأثير للفكر فيعتمدون على القول المأثور – النظير يجذب نظيره- او شبيه الشيء منجذب اليه – عبر الترددات الفكرية، وتلكم هي بالذات – القوة الجاذبة للفكر – فالفكرة الموحية بالخوف او بالهلع تجذب بشكل طبيعي الافكار المشابهة الاخرى وتقترن بها.

ان قوة تأثير الافكار وطبيعتها جعل الشخصية الإنسانية تنطبع فيه انطباعا مباشرا ولما كانت بعض الافكار توحي بالآلام والامراض والاسقام والتهيؤات

(1) قوة الفكرفي الحياة العملية ص83.

المضرة لذا وجدنا من يحاول ان يدافع عن شخصيته وسلامتها باستخدام آليات ايحائية ذاتية تبعد عنه شرور هذه الإيحاءات السيكولوجية وقد بنيت هذه الحقيقة على مفردات قوية من معطيات علم النفس المختبري والتي تقول[1] (ان كل شخص قادر على خلق حالته النفسية الخاصة وطبيعته وعاداته بصورة هادفة من خلال الإيحاءات الذاتية، وبالفعل يستطيع كل فرد ان يبني شخصيته الخاصة ويجعل من نفسه انسانا سعيدا ناجحا، وهذا ممكن ولكني لا اود ان اقول انه سهل قد يكون الامر بسيطا من الناحية النظرية، اذ يتعين على المرء اعداد قائمة مفصلة بمزايا الشخصية التي يريد الحصول عليها التي تساعده في الوصول الى هدفه ومنح النفس فيما بعد الإيحاءات الملائمة، فكر الآن في الدعاية التي تؤثر فيك وانت صاح واستحضر في ذهنك مفعولها حينما تتكرر الرسالة مرات عديدة، فستتغلغل في صميم كيانك وبالطريقة نفسها يجب ان يؤدي برنامجك للايحاء الذاتي مفعوله عندما تنفذه روتينيا يوميا اعتياديا، ما عليك سوى تكرار ايحاءاتك مرات عديدة بعزم وتصميم حتى تترسخ في آخر الامر في اللاشعور وتصبح جزءا من شخصيتك).

ان بعض العلماء[2] وصل الى درجة الحديث عن برمجة الشخصية والسلوك الإنساني عبر الإيحاءات الايجابية عبر ترديد عبارات وتوكيدات ايجابية حيث يرى ان التوكيدات هي حالة النفس الداخلية فالعقل المبرمج تبرمجه التوكيدات فكل شيء نقوله بقناعة وقوة عاطفية يتحقق.

(1) تدريب الادراك الحسي الفائق ص62.

(2) تطوير المهارات النفسية ص38.

ويعبر احد الباحثين عن هذا المعنى بطريقة اخرى فيقول[1] (والإيحاء سواء في حالة اليقظة او في حالة التنويم المغناطيسي يحاول حمل العقل الواعي على نسيان تخيلاته لتدفن صورها في اعماق العقل الباطن لتبسط وتنشر اثارتها فيه،ويقول العلماء ان الإيحاء ماهو الا تحقيق غير واع للتصور – فكرة – ويكون الإيحاء ناجحا اذا حدث تحقيق –الفكرة–التصور–عن طريق العقل الباطن والابحاث المتقدمة اعطتنا صورة واضحة عن تخيلات العقل الباطن وشدة فعاليتها).

ان علم النفس يصل الى درجة القول بانعكاس الانفعال بمضمون الاعتقاد اوالتفكيرحيث يشير العلماء الى ذلك بالقول[2] (وما يقبله العقل يشعر به الشخص،فان كان في غرفة حارة يمكن ان يوحى اليه انها في زمهرير وسوف يشعر انه كذلك فعلا حتى ان الجسد لن يفرز عرقا وسوف يبدأ يشعر بالقشعريرة ويوضح هذا ان ما يعتقد العقل في صدقه هو ما يشعر به المرء سواء كان هذا حقا ام غير ذلك).

من هنا كان هناك من يدعو لعلاج الامراض النفسية عن طريق الإيحاء وهو ما حصل فعلا باستخدام التنويم المغناطيسي ثم بالتحليل النفسي ثم بالتداعي الحر، على ان البعض قد وضع تمارين وتدريبات خاصة للدفاع عن التلاعب بالوعي عبر الإيحاءات الكاذبة[3] (ان العقل ليس شيئا نلعب به، انه قد يستجيب في الحال لاي وجهة يوحى له بها بدون نظر لكون هذه الوجهة تقود الى نتيجة طيبة او سيئة، وكل ما يفعله الإنسان اساسا محكوم بشيء أوحت به رغبة او جوع او كراهية او

(1) التداوي بالإيحاء الروحي ص62.

(2) حواسك الزائدة في خدمتك ص75.

(3) ن م ص203.

محبة ...الخ مما تكون اثر عدد لا نهائي من مختلف التجارب في العادة، والشخص الناجح هو الذي تعلم كيف يتحكم في قابليته للايحاء كما يستجيب فقط لما هو طيب ويرفض ما هو رديء، وهذا الاكتشاف الحديث نسبيا تم على ايدي العلماء وهوانه يمكن لاعيننا وآذاننا ان تحس بمناظر واصوات تسجلها في اللاشعور بدون وعي منا ولهذا التسجيل في حينه،قد أدى لولادة ما يسمى الاعلان الاعلائي ....ونظريتها هي ان الفرد عندما يواجه فيما بعد مشكلة او حقيقة فانه يكون بالفعل سابق التكيف بواسطة الانطباعات الاعلائية ومستعدا لتقبل ما يسترعي انتباهه الشعوري،وهذا بالتأكيد نوع من التنويم المغناطيسي ويرى الآن بعض الباحثين في العقل امكانية تأثر شعوب باكملها عن طريق الاستخدام الجاهل للصورة والصوت الايحائيين فتسير يوما كتلة متراصة في أي اتجاه يملى عليها، من المهم اذن لكل فرد يقدر استقلاله وكرامته وتملكه لارادته الحرة ان يعرف كيف يحمي نفسه من تأثير الإيحاءات الموجودة حوله).

لقد فسر بعض علماء النفس تأثير الإيحاء على الجسم من خلال تأثير العقل على الجسم حيث يقول – ألن مايسي–[1] (ان الإيحاء له التأثير ذاته على خلايا الدماغ كما لانتقال الافكار، وعبر هذه الخلايا على الجسم البشري، فقد امكن احداث قروح وآثار تشبه الحروق بواسطة الإيحاء، كذلك أمكن تحسين قوة السمع والبصر ايحائيا، فالمنبه الذي يمكنه التأثير على حس واحد يمكنه ان يؤثر على جزء آخر من الجسم تتصل به اعتباطا، عبر ايحاء حصل عرضا من قبل المنوم او من قبل الشخص النائم ذاته، يمكن استعمال التنويم المزمري والإيحاء لأغراض طبية لاحد لها ان اكثر حوادث الشفاء تكون بإمرار اليد فوق المريض تتم بواسطة الإيحاء

(1) الحاسة السادسة ص101.

الذاتي)، وهكذا يصل الى الاستنتاج التالي – ان تأثير العقل على الجسم كثير وواضح، فهناك مئات الامثال على ذلك، منها شفاء الثآليل وشفاء بعض المقعدين والصم والعميان كل ذلك بواسطة الإيحاء الذاتي المنبثق من الإيحاء الخارجي، اننا في ساعة الولادة حين نبدأ الوجود المستقل في الحياة ناخذ بتجميع انطباعاتنا الخصوصية فلا واحدة من التمنيات والآمال والانفعالات والافكار الطارئة تدخل اذهاننا وتبقى الى يوم وفاتنا الا وتترك أثرا فيها، ان اخلاقنا يجري بناؤها من نسيج افكارنا في كل دقيقة، ان اللاوعي قد شبهوه بورقة نشاف تمتص كل الانطباعات جيدها ورديئها وهذه تحدد وجهة العقل).

ونظرا لما يلعبه الإيحاء من دور بارز في حياة كل فرد يطرح بعض المعالجين[1] اسلوبا للاستفادة منه فائدة شعورية كل يوم، فإذا كان التنويم المغناطيسي هو طريقة لاستخدام الإيحاء على الآخرين فمن الممكن للانسان ان يمارس الإيحاء على نفسه ويحصل على نتائج مذهلة، ويشير الى ان التنويم الذاتي يشمل تأثير عقلك سواء بموافقتك او بمشاركتك الشعورية او بدونها، وليس هناك أي قيمة دائمة لما تتطلب من عقلك اداؤه ان لم يتوفر الشعور الكامل بأنك –انت الحقيقي– عامل على تدعيمه فانه يميل للذوبان وفقدان السيطرة عليك مثله مثل الإيحاءات التي يعطيها لك المنوم المغناطيسي، ويرشد الى وسيلة للايحاء للنفس قبل النوم بانه سوف يكسب فضيلة اخرى في اليوم التالي وهذه هي وسيلة بسيطة يمكن لاي واحد منا ان يستخدمها ويتوقع نتائج سارة ومجزية.

(1) حواسك الزائدة في خدمتك ص217.

لقد وصل بعض علماء النفس بعد ما رأى من القدرات العلاجية للايحاء في التنويم المغناطيسي وفي اليقظة الى حد القول[1] بأن المرض نفسه ليس الا وهما كما هو الشفاء وهما او تصورا ذهنيا فقط، وان الاسباب المادية التي كان يتصور انها تحدث المرض قد ثبت بالتجربة المحسوسة انها ليست كذلك حيث اكد الباحثون في مستشفى مونرو بالولايات المتحدة مثلا الى ان الارض والعلل ليست في الاعم الاغلب الا اوهاما نشأت في عقول المرضى ثم عبثت بأجسامهم فأحسوها صداعا في الرأس او آلاما في الرقبة او قرحا في المعدة، وقد توصل خبراء المستشفى المذكور الى هذه النتيجة بعد ابحاث دامت خمسة عشر عاما ووضعوا على اثرها قائمة بنسب المرض الذي ينشأ عن طريق الوهم والانفعالات العاطفية حيث تبين ان نسبة الاوهام تصل الى 90٪ في الشعور بالارهاق ونسبة الشكوى من الصداع الى 80٪ وعسر الهضم الى نسبة 75٪ وآلام القرحة الى 50٪ وغيرها.

---

(1) الطاقة الإنسانية ص300.

فسيولوجيا الإيحاء

بعد دراسة تفصيلية وفسلجية لعملية التنويم المغناطيسي والإيحاء مستفيدا من كل المعلومات الانثروبولوجية والعضوية والعصبية يخلص ليل واطسن في كتابه الطبيعة الخارقة الى القول[1] (فسواء كانت النتائج التي تتحقق عن طريق التنويم تنتج عما نسميه بالتنويم او عن طريق ما نسميه بالإيحاء اثناءه،فان الحقيقة الثابتة هي ان الوظائف الجسدية تتأثر تأثرا كبيرا بالمؤثرات الخارجية وبغض النظر عن الطريقة فانها تعطينا اهمية بيولوجية واضحة وتعطينا اول اتصال مباشر مع عقلنا الباطن).

وكان قد اشار الى انه لاتوجد هناك قيود على الاشياء التي نستطيع ان نجعل اجسامنا تقوم بها اذا نحن اقنعنا العقل بامكانيتها،فعن طريق الإيحاء النفسي نستطيع ان القيام باشياء كثيرة لا نستطيع ان نقوم بها عادة كزيادة ضربات القلب او خفضها وكزيادة كمية الدم التي تسري في الاطرلف ... الخ.

وبعد ان يؤكد هربرت بنسن في كتاب العقل والجسم على علميته منطلقا من القول: [2] (لست باي حال من الاحوال اشجع على استخدام الاوهام او الطقوس او الروحانيات ومع ان هذه المعتقدات اثرت على نواح روحانية في حياة الإنسان وانها قد تحتوي على عناصر منطقية، ولكنها وضعت عوائق في سبيل التطور العلمي للطب في اماكن عديدة من العالم).

(1) الطبيعة الخارقة ص96.

(2) العقل والجسم ص58.

الا ان هربرت بنسن لا يستطيع الا ان يقر بالتجارب العديدة التي اجراها العلماء والتي اثبتت بشكل حاسم نجاح العلاجات الايحائية في الطب في الطب البدائي والحديث على السواء،وان قوة الطب البدائي تشتق من وحدة الحياة والفكر والعقل والجسم، مضيفا ان السحر والدين يقدمان ارضا افضل من اية تقنية او روحانية خالدة لحاجات الإنسان المريض والجسم بل ان يسرد وقائع تجارب مختبرية عديدة تؤكد ان البعد النفسي احيانا يقلب مفعول الدواء الى عكسه اذا ما رافقه ايحاء عكسي ووصل الى الاستنتاج بان[1] (فاعلية الادوية الفعالة وكذلك غير الفعالة يمكن ان تتاثر بالوضع النفسي للمريض،فالمرضى القلقون على مرضهم الذين يتعرضون الى انزعاج كثير يحسون بالراحة بصورة اكثر لاخذهم حبة او مادة غير فعالة مقارنة بالمرضى غير القلقين وكذلك فالمريض الذي يعتقد بان العلاج سيكون فعالا يكون اكثر فرصة للاستفادة منه).

ويضرب مثلا على ذلك ماقام به الدكتور ستيورات ولف عام 1950 في مستشفى نيويورك لدراسة توقع المريض، حيث استخدم الدكتور عرق الذهب الذي يسبب الغثيان والتقيؤ وذلك بتاثيره على اجزاء معينة من الدماغ وتاثيره المخدش على المعدة، فهو يستخدم مرارا لاحداث التقيؤ في حالات الافراط في تناول الادوية حيث استخدم الدكتور بالون صغير يبتلعه المريض ويكون مربوطا بالة تسجيل فحينما تتقلص المعدة تعصر البالون فيختلف الضغط فتسجل اختلافات الضغط فيه حينئذ،وفي العادة فان للمعدة تقلصات مؤقتة وتقليلها يرتبط بالغثيان والتقيؤ ان تناول عرق الذهب يقود الى تقليل التقلصات،وكانت احدى مريضات الدكتور تعاني من الغثيان والتقيؤ التي غالبا ما تمر بها الحامل فترة الحمل

(1) ن0و0ص66.

فجعلها تبتلع بالونا كهذا،سجلت عندئذ تقلصات المعدة كما تم الاحساس بها،ثم اخبرت المريضة انها ستتناول دواء يمنع غثيانها واعطيت في الواقع عرق الذهب فرجعت حينذاك تقلصات معدتها الى وضعها الطبيعي بعد ابتلاعها مادة عرق الذهب ولم يصبها الغثيان ثانية حتى صباح اليوم التالي فقد كان توقع المريضة لفعالية الدواء المحددة الى عكس فاعلية العقار الحقيقي، ولا يقتصر احداث التاثير على فاعلية العلاج على اتجاهات المريض وقلقه وتوقعاته فحسب بل ان افكار الطبيب وسلوكه لها تاثير على فاعلية العلاج كذلك فالاطباء الواثقين من انفسهم والذين يستجيبون لمرضاهم مؤمنين بفعالية علاجهم يكونون اكثر فاعلية في احداث التغيرات الصحية الايحائية من خلال التاثيرات المهدئة ويحضى بنفس الاهمية فهم الطبيب للمريض وتقبله).

ان تاثير الافكار الايحائية وتاثير الاقوال الموحية بين الطبيب والمريض كان لها تاثير اقوى من تاثير الدواء ذاته، مما يعني ان لهذه الافكار قوة تاثير فسلجية كبيرة بلا منازع.

ان الآلية النفسية للايحاء كما يعرضها الدكتور امين رويحه في كتابه التداوي بالإيحاء الروحي عبر ما اسماه العلامات الخاصة بالإيحاء هي عبر النقاط التالية[1]:

1. احداث تخيلات عند انسان تحدث او احدثت او ستحدث تبدلات جسمانية او نفسانية.

2. حصر عمل التخيلات على محتويات معينة في الوعي وذلك باضعاف او بازالة ترابط التخيلات المعاكسة

---

(1) التداوي بالإيحاء الروحي ص85-86.

3. هذا الاضعاف او الازالة لترابط التخيلات المعاكسة ينسب الى اقصاء الوعي الذاتي – الانا- ونقده وتنديداته.

4. في الإيحاء يحقق – حدث مشترك- منعزل عنه – الحدث الذاتي- وفي الحدث المشترك يتشابه الافراد بعضهم ببعض الى درجة وحدة التوجيه بشعور واحد او بتخيلات واحدة ومثل هذا التاثير والتوجيه المشترك غير موجود في – الحدث المشترك – ففيه تظل (الانا) متمسكة بذاتها.

وهكذا تكون طبيعة الإيحاء ايجاد حالات جسمانية او نفسانية عند الشخص المعالج – الموحى اليه – بواسطة الطبيب – الموحي- يمكن فيها تركيز اعمال تخيلات المريض وتوجيهها نحو محتويات معينة في وعيه،وذلك باضعاف او ازالة ترابط الافكار والتخيلات المعاكسة لها او بتعبير اخر بازالة – الوعي الذاتي- وانتقاداته وتنديداته وذلك ليس لان التخيلات الموحى اليها قائمة على اسس واقعية بل لانها تنبثق من الموحي كواسطة – لحدث مشترك- التفكير عند الموحى اليه تفكير منقول بكلية ليس فيه أي اثر من الواقعية او الشخصية).

ولو اخذنا نموذجا لطريقة الإيحاء الذاتي التي تحدث عنه (كوئه) وكيفية تحليل علماء النفس لها وليس الفسيولوجيون فاننا سنرى مصداقية وقوة الإيحاء احيانا تتغلب على الارادة ذاتها، ونعضرها كما عرضها الدكتور رويحة حيث يصفها بانها[1] (بنيت هذه الطريقة على ثلاث ركائز تعتبر – حقائق نفسية- وهي:

1.ان قوة التخيل تكون الحافز المؤثر لكل تصرفات الإنسان وليس الارادة.

(1) ن.م.ص94-95.

2. اذا وقعت قوة التخيل والارادة في تناقض تغلب التخيل واندحرت الارادة.

3.القانون المسمى- بقانون المقاومة المقلوبة- وهذا القانون يقول: بان الارادة ليست عاجزة امام الإيحاء المنبثق عن قوة التخيل فحسب،بل ان مقاومتها تزيد الإيحاء قوة ومتانة في حين انها تستهدف الى القضاء عليه،وكنتيجة لذلك يجب ان تلغى الارادة وان تتصاعد قوة التخيل لتحقق فعلا ما يتخيله المريض المعالج ويلخص رويجة قول كوئه بقوله:ان التخيل لديه القوة اللازمة لتحقيق ما يتخيله وهذا ما سماه بودين بقانون -الغرض المجهول) الغير المدرك،وفسره بالاتي عندما يقرر الهدف يقدم اللاوعي - العقل الباطن- في كل ايجاء الوسائل اللازمة لتحقيقه فاذا اراد الإنسان مثلا التخلص من صداعه -الآلام في راسه- يكفي ان يتخيل بتركيز أي بشدة ان الآلام قد زالت عندئذ يعمل اللاوعي كل ما يلزم لتحقيق زوالها.. زوالها فعلا.

ان جميع ما تقدم انما هو التفسير في اطار علم النفس ونظرياته فماذا يقول الفسيولوجيون من اطباء ونفسيين وغيرهم؟.

لعل من المعروف لدى جميع العلماء ان بافلوف العالم الروسي الحائز على جائزة نوبل عام 1904 كان من اكثر المتعمقين في دراسة الفسلجة العصبية والدماغ البشري بضوء الترابط الشرطي بين الاحداث الواقعية وآليات الدماغ البشري كتنبيه او مثير واستجابة،كما انه درس بالتفصيل فسلجة التنويم المغناطيسي وكان عالما مختبريا فريدا خاصة في ما اسماه بالمنبهات الشرطية اللفظية في اطار اللغة والتي

سماها بالمنبهات الشرطية الحسية بل واعطاها دورا عبر الإيحاء باكبر من المنبهات مما للمنبهات الشرطية الحسية !!!.

حينما نلفظ كلمة فان الجهاز العصبي يستدعي ليس صورة دلالة الكلمة فقط وانما ما تثيره هذه الصورة والدلالة من انفعال مصاحب لها فحينما نذكر كلمة تفاحة تتحرك ليس صورة التفاحة فقط وانما تذوق وطعم التفاحة المخزون في الجهاز العصبي ويحرك آليات الجوع،ومعنى هذا ان الكلمة بالنسبة للانسان منبه شرطي لفظي مادي حسي كالمنبهات الشرطية الحسية المادية الاخرى غير انها في الوقت نفسه اكثر شمولا وتجريدا[1] (أي ان الكلمة من حيث هي منبه شرطي اشاري هي في الوقت ذاته شيء مادي محسوس بالنسبة للشخص الذي ينطق بها او يسمعها ويقراها ويكتبها وبامكانها في جميع الاحوال ان تحدث تحولات كبرى في السلوك –معنى ذلك انه متى توافرت شروط مادية فسلجية واجتماعية خاصة فان الكلمة تقوم بوظيفتها المشار اليها).

ولما كان الإيحاء يتم عبر الفاظ مهموسة او عالية فان من الضروري ايضاح العلاقة بين القدرة الايحائية للفظة والانعكاس الفسلجي العصبي لها،تقول المعلومات العلمية التي تتحدث عن علاقة اللغة بالفكر ثم اللغة بالإيحاء[2] (ترتبط التعبيرات الانفعالية عند الإنسان كما يرتبط محتواها الاجتماعي ارتباطا وثيقا باللغة التي لولاها لاستحال تجسيد العواطف او تبلورها،ومن حيث التداول على حد سواء وقد ثبت ان للكلمات تاثيرا فسلجيا عميقا في حياة الإنسان الانفعالية من

(1) طبيعة الإنسان في ضوء فسلجة بافلوف ص457.
(2) اللغة والفكر ص157–158.

الناحيتين الايجابية والسلبية وهذا الذي يفسر الاساس الفسلجي لظاهرة الإيحاء السيكولوجية المعروفة فالإيحاء بالكلمات والاشارات المصاحبة التي هي لغة ايضا.

يحول بسهولة وبسرعة خلال القشرة المخية اللغوية المراكز المخية اللغوية التي تحدثنا عنها لدى الشخص الذي يقع تحت تاثير الإيحاء اللفظي من حالة اثارة او تيقظ او انتباه الى حالة كف او توقف موقت عن العمل او نوم جزئي بتعبير بافلوف مع استبقاء بؤرة اثارة قوية تتركز في معاني تلك الكلمات والحركات المصاحبة وهذا يحدث عندما يقول بافلوف وفق مبدا الاستثارة المتبادلة بين عمليتي الاثارة والكف حدوث احداهما في منطقة مخية معينة يرافقه بالتبعية حدوث الاخرى في مناطق مخية اخرى معنى هذا ان ظاهرة الإيحاء هذه تستند سلبيا من الناحية الفسلجية الى تجميد عمل غالبية خلايا القشرة المخية من جهة وتستند ايجابيا الى نشوء.

بؤرة اثارة مخية قوية تتركز في معاني الكلمات الايحائية المستعملة والاشارات المرتبطة بها من جهة اخرى ... وهذا يعني بعبارة اخرى ان الاداة الفسلجية الرئيسية التي تكمن وراء ظاهرة الإيحاء هي تفكك عمل القشرة المخية المتماسك اليومي وكلمات الإيحاء التي يوجهها عالم الاعصاب الى المصاب باضطرابات عصبية اثناء وضعه اياه في حالة نوم جزئي – عملية كف موضعي مؤقت- هي في حقيقتها منبهات شرطية كلامية موجهة الى بعض خلايا قشرته المخية الضعيفة – التي انهكها الاضطراب العصبي – ليستثير فيها بؤرة استثارة قوية ترافقها – حسب مبدأ الاستثارة المتبادلة – عملية كف تنتشر في سائر ارجاء القشرة المخية الاخرى).

لقد ثبت لبافلوف ان كلمة الم او مؤلم لاتحدث الاثر الفسلجي المطلوب الذي بامكانها ان تحدثه ولا تصبح ذات دلالة او معنى لدى من يسمعها الا اذا تحولت

الى منبه شرطي لفظي له دلالة او اشارة او معنى او محتوى او مغزى، وهكذا يصل العلم الى القول[1] (فالكلمة اذن قوة فسلجية واجتماعية هائلة في تغيير سلوك الشخص من الناحيتين السلبية والايجابية أي من حيث انجاز الاعمال وتفادي القيام ببعض آخر، يتضح ذلك الاثر في ظاهرة الإيحاء والإيحاء الذاتي، ويكفي ان يتصور المرء مدى ذلك الاثر اذا تذكر ان باستطاعة الشخص فرديا ومع الجماعة ان يتحمل عن طريق الإيحاء الذي تحدثه الكلمات الالم الممض وحتى الموت احيانا دون ان يبدي اية مقاومة فسلجية،فالشهداء مثلا على اختلاف عقائدهم وظروفهم الزمانية لم يتحملوا بصبر ورحابة صدر شتى صنوف الاهانة والتعذيب حسب وانما هم ايضا قابلوا الموت المحتوم برباطة جأش وسرور عظيم).

اذن فللكلمات قوة ايحائية هائلة والإيحاء اللفظي اكثر المنعكسات الشرطية بساطة عند الإنسان وهو ايضا الصق صفاته التي ينفرد بها، ويشير العلماء الى ان هناك ارتباط للمنبهات اللفظية بعضها ببعض يعني ترابط الكلمات والعبارات يؤدي الى نشوء وصلات مؤقتة او ارتباطات فسلجية بالغة الاهمية والتعقيد يفرض بعضها نفسه فرضا على بعض آخر ويأخذ بالنمو المتزايد مع نمو الإنسان وتزايد خبرته.

من هنا يفسر العلماء كلمات المنوم المغناطيسي ومفعولها الذي يشبهونه بالسحر حيث اصبحت الكلمات منبهات شرطية لفظية قوية مركزة فاستأثرت بالنشاط العصبي الاعلى الواعي باسره بشكل غير مباشر عند الشخص المنوم، اما نقطة انطلاقه الفسلجية فهي المنطقة اليقظة في الدماغ التي يتم عبرها الاتصال بين المنوم والمنوم، وبما ان تلك المنطقة هي المنطقة اليقظة الوحيدة الموجودة في دماغ

(1) طبيعة الإنسانفي ضوء فسلجة بافلوف ص458.

توقف عن العمل كليا بشكل مؤقت ولولاها لأصبح ذلك التوقف الدماغي كليا لهذا فان ما يوحى به المنوم من افكار واوامر لا تتعرض لأية مقاومة من أي نوع كان،ان الغرض[1] من الاستعانة بالإيحاء اللفظي في حقل الطب عند بافلوف على وجه العموم هو ايجاد حالة عملية كف شرطية تؤدي عن طريق المنعكسات الشرطية الى حدوث تغييرات فسلجية غير الشرطية فتؤدي في آخر المطاف الى نشوء حالة استراحة في القشرة المخية وهذا هو العامل الفسلجي الذي يجعل الكلمة تترك اثرا في سلوك الشخص او في نشاطه الانعكاسي الشرطي الحسي ... ويشير العلماء الى ان الخبرة الشخصية تدل على ان الكلمات اللطيفة او الرقيقة هي نفسها تحدث في الواقع تغييرات في الخلايا العصبية المخية ذات فائدة تكييفية للانسان، فكلمة هدوء مثلا او اهدأ تغير الى الاحسن نشاط القلب وكلمة نم او اريد ان انام باستطاعتها ان تضع القشرة المخية جزئيا في حالة كف وقول الطبيب للمريض مثلا ان جسمك مستريح الآن يساعد على جعله فعلا في حالة استراحة ولهذا نجد العلاج النفسي اللفظي عاملا مهما في الطب العلاجي الحديث .

أما كيف تتغلب الكلمة كمثير شرطي على المثيرات الحسية القوية فان العلم يقول: (ان باستطاعة الكلمة التغلب على نشاط المنظومة الحسية الاشارية وابطال مفعول المنعكسات غير الشرطية وعرقلة الوظائف الفسلجية الجسمية المتعددة وذلك لان الكلمة تصبح بالتعبير الفسلجي - منبها متفوقا- وعلى هذا الاساس يصبح بإمكان اللغة ان تطمس آثار جميع الدوافع البيولوجية الفطرية عند الإنسان او تبطل مفعولها او تحولها الى نقيضها وهذا هو الذي يجعل مفعول الكلمة يتغلغل عميقا في مشاعر الإنسان ويجعلها محركات السلوك او دوافعه الرئيسية وهي التي

(1) اللغة والفكر ص154.

تتوقف عليها حياة الفكر عند الإنسان، وهذا يعني ان التفكير لا يحدث الا اذا استلزمته حالته الانفعالية اثناء مواجهة الإنسان مشكلة يتحتم عليه حلها، غير ان مهمة الانفعالات تنتهي عند اثارة الفكر وذلك لان الانفعالات بطبيعتها متسرعة مندفعة لا تسمح لصاحبها ان ينظر الى الامور بتؤدة او روية واتزان وهي صفات تقع في صميم عملية التفكير لان الفكر نشاط ذهني ناقد او فاحص ممحص يستبعد القيام بعمل طائش).

لقد ثبت مختبريا اذن[1] وفي مجرى الحياة اليومية ان باستطاعة المنبه الشرطي اللفظي ان يحدث تبدلات عميقة وواسعة المدى ومتعددة في خلايا القشرة المخية تمسح اثر المنبهات الشرطية الحسية غير اللغوية او لا تتسم معها بمعنى جعلها تغاير الواقع وتشوهه –فقد بدت مثلا علامات الترنح والنشوة على اشخاص تناولوا اقداحا من الماء اوحي اليهم باللفظ وهم في حالة نوم جزئي –مغناطيسي-على ان الاقداح مملوءة بمادة اخرى مسكرة، وحدث العكس في تجارب اخرى وبدت علامات الانشراح او الانتعاش على سيدة قيل لها وهي في حالة نوم جزئي انها تشم رائحة عطر ذكي يتضوع أريجه في حين ان المادة التي وضعت بقرب انفها كانت غاز الامونيا الكريه الرائحة، وتناول بعضهم مادة مرة المذاق على انها سكر بالاسلوب نفسه، وخيل لبعضهم انه يرى سائلا ازرق اللون في حين ان اللون الحقيقي للسائل كان ابيضا، وهكذا تحولت تحولا جذريا بتأثير الكلمات في حالات مشابهة مواقف اشخاص من اسرهم ومهنهم وحتى من انفسهم قبل ذلك، واستطاع بعض الاطباء ان يحدث عن طريق الإيحاء اللفظي اعراض حمل وهمي لدى بعض النساء، وقد ثبت ايضا ان باستطاعة الإيحاء اللفظي الذاتي ان يحدث

(1) اللغة والفكر ص159.

بقعا في الجلد ....وقد عولج كثير من الاشخاص ضد دوار البحر بالإيحاء اللفظي كما استطاع بعض الجراحين ان يقوموا بفضل الإيحاء اللفظي بعمليات جراحية صغرى دون حاجة الى الاستعانة بالتخدير الموضعي او العام،دون ان يشعر المريض بالالم وقد شفيت اضطرابات عصبية كثيرة بالاسلوب ذاته وثبت ايضا ان بعض حالات فقدان بعض وظائف الاعضاء كالسمع مثلا يحدث بفعل الإيحاء اللفظي وذلك باحداث عملية كف موضعي مؤقت في مجموعة خلايا المركز المخي السمعي).

لاشك ان آليات الإيحاء قد ذهبت بعيدا جدا في التجارة والاعلان التجاري حينما بنت مفاهيم الاعلان التجاري على معطيات تجارب بافلوف ذاتها يقول البروفسور كلايد ميلر[1] (بان الإنسان مخلوق من مجموعة انعكاسات شرطية على غرار اعتقاد بافلوف وانه ما عمل رجل الدعاية الا ان يعرف كيف يبني سلوكا شرطيا في عقل المستهلك وهكذا شعر التاجر بان عليه الاستعانة بغائصي الاعماق النفسية ودارسي البواطن ليتمكن من اقناع الزبائن، وبلغت محاولات الاستعانة بالخبراء النفسيين الى حد ان جريدة – وول ستريت– الاقتصادية الامريكية قالت: ان المنتج والتاجر في سعيهما لزيادة الاستهلاك يندفعون الى عالم غريب من دنيا العقل الباطن – ويؤكد العلماء ان الاعلان اصبح علما نفسيا يستغل عواطف الامومة او غرائز التقليد وحب السيطرة والرخاء والغنى وحب الظهور والتطلع الى كسب اعجاب الغير ومديحهم، كذلك استغل الاعلان تجارب بافلوف في خطورة الاقتران والتكرار بحيث ان الكلمة المعينة اذا ذكرت حل محلها في ذهن القاريء او السامع مباشرة الموضوع او البضاعة المقصودة في الدعاية).

(1) غسل الدماغ ص210.

ولاشك ان هذه المعرفة الفسلجية انعكست على علاج الامراض النفسية عموما وعلى الامراض النفسية- الجسمية – السايكوسوماتك - خصوصا حيث يقول احد العلماء في هذا الصدد[1] (هناك مجموعة كبيرة من الامراض النفسية – الجسمية تنشأ عن الارهاق المستمر او بتأثير اعراض المرض الشديدة او نتيجة التوتر العصبي او بسبب انفعالات مستمرة اخرى في الجهاز العصبي وبوسعنا وضع قائمة طويلة لمثل هذه الامراض مثل الربو، انواع معينة من الاسهال،قرحة المعدة،ارتفاع ضغط الدم، الحساسية، ويذهب بعض الاطباء الى حد القول ان جميع الامراض فيها وجه من اوجه الطب النفسي – الجسمي، ويكون للوضع النفسي للفرد تأثير كبير في مكافحة المرض وحسب هذا الرأي فمن الجائز ان تكون من جملة اسباب مرض السرطان اسباب نفسية ايضا، ان الامراض النفسية – الجسمية قد تشفى او تتحسن عن طريق الإيحاء او تغيير اسلوب العيش مع ملاحظة ابعاد التأثيرات التي تسبب الاضطراب النفسي، وتتعلق المسألة في هذه الامراض باضطرابات وظيفية حسب كما هي الحال في التلعثم او العمى الهستيري ...الخ انها ترتبط دائما بتغييرات موضوعية في الجسم ولذا يتطلب شفاؤها اعادة ترميم موضوعي ايضا للاجهزة المصابة بالمرض قد تشفى بعض الامراض الجلدية مثلا –الثآليل–من طريق الإيحاء في التنويم المغناطيسي ...يستطيع الإيحاء في التنويم المغناطيسي ولكن في حالة اليقظة ايضا بقدر ما يتكرر احداث تغييرات موضوعية في الجسم، وتشير هذه الملاحظة الى امكان توجيه التأثير النفسي –الجسمي بشكل يسفر عن تغييرات معينة في الجسم، ويساعد على استرداد الصحة وقد تفيد دائما محاولة تنشيط القوة العلاجية الكامنة فينا وتطبيق ايحاءات بسيطة من شأنها دعم الصحة فضلا عن تكرارها ويقتضي ذلك رغبة شديدة وثقة عالية بالنجاح).

(1) تدريب الادراك الحسي الفائق ص64-65.

العلاج الايحائي من السحر الى الصدمة الكهربائية

حينما وصف احد الباحثين المعاصرين[1] الطبيب الساحر في المجتمعات القديمة والبدائية بانه الطبيب النفساني الاول في تاريخ الطب النفسي كان وصفه دقيقا بدرجة كبيرة، فهناك شبه مطابقة في هدف العلاج النفساني بينهما، اذ الغرض هو الشفاء مهما تعددت الوسائل العلاجية وهذا الشفاء لا يحصل الا بالتأثير على الحالة النفسية للمريض، ولما كانت الامراض في القديم لا يفرق فيها الطبيب الساحر بين المرض العضوي والمرض النفسي او الروحي لذا كانت علاجاته تنصب على استنفار المناعة الجسمية والنفسية في المريض عبر آليات عديدة مختلفة وكثيرا ما كان يحصل الشفاء بدون ان يعرف حتى الطبيب الساحر نفسه كيفية جدوث ذلك داخل جسم المريض، وانما يكفيه تفسيرا ان يقول ان الروح الشريرة التي احدثت المرض قد غادرت الجسم فأصبح المريض سليما معافى.

ان مراجعة بسيطة ووصفية لآليات العلاج السحري القديم تعطينا صورة عن تعدد هذه الآليات وتنوعها بشكل مدهش، يقول احد الباحثين فيها[2] (ان الباحث في تاريخ العلاج لهذه الامراض يجد بأن العلاج في محاولة للتخفيف من الالم والمعاناة قد سبق فهم الإنسان لاسباب المرض، وفي الكثير من الاحيان اتخذت اساليب المعالجة طرقا عشوائية او تجريبية او انها جاءت بطريق المصادفة غير انه في الحالات التي افترض فيها سبب معين فان المعالجة جاءت مناسبة للسبب، كما يتضح مثلا من فتح ثقوب في الرأس لتسهيل خروج الروح الشريرة من رأس المريض، واستعمال الموسيقى لطرد هذه الروح ومثل ذلك التعذيب والتجويع

(1) النفس ص404.

(2) النفس ص399.

للمريض سعيا وراء نفس الهدف، ولم يكن هناك من حد للافتراضات السببية لهذه الامراض ولا من المحاولات العلاجية لشفائها وتخليص المريض والمجتمع من الابتلاء بها وظهرت لذلك طرق عديدة اتجهت منذ الاساس الى ما يؤثر في النفس بوسائل الإيحاء المختلفة، والى ما يؤثر فيها عن طريق الوسائل المادية من دواء او غذاء واستعراض الوسائل العلاجية المعاصرة يدلل على اننا مازلنا نتبع نفس الاتجاهين وبأن الكثير من الوسائل العلاجية القديمة ما زالت قائمة او ملبسة بثوب جديد ومبنية على اسس نظرية تفسيرية تحتاج الى اثبات وبرهان).

ولو حاولنا ان نراجع ما كتبه العلامة الانثروبولوجي –جو فريزر– في موسوعته –الغصن الذهبي– عن ممارسات السحر القديم البدائي ونربطه بممارسات عالم النفس المعاصر الذي يستخدم صعقة الكهرباء للمريض النفسي والعقلي فاننا سنجد ان الإيحاء هو المركز الاساسي لحدوث التأثير الشفائي في المريض القديم والمعاصر.

ان فريزر يعتبر ان السحر هو علم الإنسان القديم وهو يقوم على مبدأين اساسين هما: الشبيه ينتج الشبيه ومبدأ آخر يقول باستمرار التأثير المتبادل بين الاشياء المتصلة حتى بعد انفصالها بعضها عن بعض، أي ان الاشياء التي كانت متصلة في وقت من الاوقات يؤثر احدها في الآخر بعد ان يتم انفصالها، ويعتبر هذان المبدآن في نظر فريزر قانونين للسحر البدائي او على الاصح موقف البدائي من السحر، يقول فريزر في كتابه تحت عنوان – السحر التعاطفي – للحديث عن مبادىء السحر ما يلي[1] (اذا حللنا مبادىء الفكر التي يقوم عليها السحر فانه يحتمل ان نجدها تنحصر في مبدأين اثنين الاول هو ان الشبيه ينتج الشبيه او ان

(1) الغصن الذهبي ص104.

المعلول يشبه علته والثاني هو ان الاشياء التي كانت متصلة بعضها ببعض في وقت ما تستمر في التاثير بعضها في بعض من بعيد بعد ان تنفصل فيزيقيا ويمكن ان نسمي المبدأ الاول – قانون التشابه وان نسمي الثاني قانون الاتصال او التلامس، ومن المبدأ الاول أي قانون التشابه يستنتج الساحر ان في استطاعته تحقيق الاهداف والنتائج التي يريدها عن طريق محاكاتها او تقليدها ومن المبدأ الثاني يستنتج ان كل ما يفعله بالنسبة لاي شيء مادي سوف يؤثر تأثيرا مماثلا على الشخص الذي كان هذا الشيء متصلا به في وقت من الاوقات سواء كان يؤلف جزءا من جسمه او لا يؤلف، وعلى ذلك يمكن ان نسمي التعاويذ والطلاسم التي تقوم على قانون التشابه بالسحر التشاكلي او سحر المحاكاة بينما نسمي تلك التي تستند الى قانون الاتصال او التلامس بالسحر الاتصالي، وقد تكون كلمة –تشاكلي- افضل من غيرها في تحديد الفرع الاول من فرعي السحر وذلك لأن كلمة محاكاة او تقليد توحي –ان لم تكن تعني بالفعل- بوجود قوة عاقلة تمارس عمدا عملية المحاكاة او التقليد، وهذا يؤدي الى تضييق مجال السحر الى حد كبير، فالساحر يعتقد بطريقة ضمنية ان المبادىء التي يستخدمها في فنونه هي ذاتها المبادىء التي تنظم عمليات الطبيعةالجامدة او غير الحية، وهذا معناه انه يسلم منذ البداية بأن قانوني التشابه والاتصال يصدقان على كل شيء وليس على السلوك الإنساني فقط، وباختصار فان السحر نسق كاذب او زائف للقانون الطبيعي مثلما هو موجه مضلل للسلوك، انه عالم كاذب زائف بقدر ما هو فن عقيم).

وبعد ان يحلل فريزر هذه الافكار يصل الى ان هذين المبدأين ليسا سوى طريقين مختلفين لاستخدام تداعي الافكار استخداما خاطئا، فالسحر التشاكلي يقوم على تداعي الافكار عن طريق التشابه بينما السحر الاتصالي يقوم على تداعي الافكار عن طريق التجاور او التلامس، السحر التشاكلي يقع في خطأ

افتراض ان الاشياء المتشابهة متطابقة تماما والسحر الاتصالي يقع في خطأ افتراض ان الاشياء التي كانت متلامسة تظل متصلة باستمرار وهكذا يصل الى تسميتها بالسحر التعاطفي الذي يفترض امكان تأثير الاشياء بعضها في بعض من بعيد عن طريق نوع من التعاطف الخفي بحيث ينتقل ذلك التأثير من شيء لآخر خلال ما يمكن تصوره على انه نوع من الاثير الشفاف، ويضيف، ولا يختلف الامرهنا عما يسلم به العلم الحديث من اجل غرض مماثل تماما وهو تفسير كيفية تأثير الاشياء فيزيقيا بعضها في بعض خلال الفضاء الذي يبدو خاليا، وهنا نستذكر المطابقة والمقاربة بين الساحر-الطبيب والطبيب النفساني المعاصر، لهذا يحق لنا ان نطالب فريزر بأمثلة طبية علاجية لما يعتقده الطبيب الساحر عبر استخدامه لآليات السحر في ممارسة العلاج الطبي عن طريق السحر التشاكلي هذا فماذا يقول؟ يقول فريزر[1] (ومن الاوجه المفيدة الاخرى التي يستخدم فيها السحر التشاكلي الاستعانة به في معالجة الامراض والوقاية منها ولقد كان الهندوس القدماء يمارسون بعض الطقوس الدقيقة التي ترتكز على السحر التشاكلي للعلاج من مرض الصفرة او اليرقان وكان الهدف الاساس من هذه الطقوس هو نقل الصفرة من جسم المريض الى الكائنات والاشياء الصفراء الاخرى مثل الشمس التي تنتمي الى ذلك اللون عن جدارة ثم حقن المريض باللون الاحمر الذي يدل على الصحة والعافية وذلك من احد المصادر التي تتمتع بالقوة والحيوية مثل الثيران الحمراء، ولكي يتم ذلك كان احد رجال الدين عندهم يتلو الرقية التالية –سوف تصعد الى الشمس آلام قلبك ومرض الصفرة، وسوف نغمسك في لون الثور الاحمر، اننا نغمسك في الاصباغ الحمراء لتنعم بالحياة طويلا الا فلتحرر وتتخلص من ذلك اللون الاصفر، اننا نضفي عليك صورة وحيوية تلك الابقار التي تنتمي الى الآلهة روهيني

---

(1) الغصن الذهبي ص118.

الحمراء، اننا ننقل صفرتك الى البيغاوات وطيور الدج وغيرها من الطيور الصفراء، ولكي يسري رحيق الصحة الوردي في جسم المريض الشاحب فانه يرشف اثناء ترديد رجل الدين لهذه الكلمات بعض رشفات من الماء الممزوج بشعر ثور احمر، وذلك بعد ان يكون رجل الدين قد سكب الماء فوق ظهر الحيوان ليقدمه للمريض، ويجلس المريض اثناء ذلك فوق جلد دب احمر وقد ربط قطعة من ذلك الفراء الى جسمه ولكي يزيل تماما كل آثار الصفرة في جسمه ويستبدل بها لون الصحة الاحمر يخضع المريض لمزيد من الشعائر والطقوس التي تبدا بأن يدهن له رجل الدين جسمه كله من قمة الرأس حتى أخمص القدمين بنوع من العصيدة الصفراء المصنوعة من الكركم ثم يضعه على الفراش ويربط ثلاثة انواع من الطيور الصفراء كالبيغاوات او طائر الدج بخيوط صفراء الى فراشه من جهة القدمين ثم يصب الماء على المريض لازالة العصيدة ومعها بلا ريب مرض الصفرة الذي ينتقل بذلك من جسمه الى تلك الطيور - ولكي تكتسب البشرة شيئا من النظارة والتألق يأخذ رجل الدين بعض الشعيرات من ثور احمر في احدى اوراق الشجر الذهبية اللون ويلصقها الى جلد المريض).

ان هذا الوصف الدقيق لهذه المعالجة السحرية والعجائبية والغرائبية التي تحتويها لها من التأثير الايحائي على المريض وعلى عقله وامكانياته الدفاعية الذاتية مما يجعله يخرج منها وقد شفي حتى وان لم يكن هناك أي سببية منطقية بين هذه الممارسات وبين الشفاء ولعل من المفيد ان نستشهد بما قاله بعض العلماء في تحليله لهذا العلاج السحري وما يشبهه حيث ينقل مترجم الكتاب -الغصن الذهبي- الدكتور احمد ابو زيد في هامش له هذا النص[1] (سبق ان ذكرنا ان اهم نوعين من

(1) الغصن الذهبي ص117.

انواع السحر في كل انحاء العالم هما السحر الخاص بالتنبؤ بالغيب والسحر الخاص بالتداوي والعلاج ويرد –وليم هاولز– ذلك الاهتمام الى ان –المرض والشك هما دائما أشد وأقسى اسباب القلق الشخصي والاجتماعي، وهذا نفسه هو السبب في وجود المشتغلين بقراءة الكف وورق اللعب والعرافين والمنجمين وامثالهم بيننا– ووجودهم نعمة من غيرشك كما انه هو السبب في ان الناس لايزالون يقبلون على كل انواع طب الركة او طب العجائز على الرغم من الطب الحديث بكل معلوماته الصحيحة الشاملة –والواقع ان الاستعانة بما يمكن تسميته بطب الركة او الطب الشعبي في علاج الامراض وخاصة الستعصية والمزمنة شائع في كثير من المجتمعات والثقافات على اختلاف درجات تقدمها ويعتبر مكملا للطب الحديث ووسائل العلاج العملية بحيث يستخدم المريض الاثنين معا ويرد شفاءه اليهما معا ايضا).

هكذا نجد ان العلماء يتفقون على ان العلاج السحري وهو ايحائي قبل كل شيء يلتقي مع العلاج النفسي الحديث والذي يلعب الإيحاء دورا اساسيا فيه.

ان التحليل الفسلجي للعلاج الشعبي القديم وحتى ممارساته الحديثة ذات الطابع الاحتفالي تتشابه مشابهة متطابقة مع العلاج الحديث عبر الصدمات الكهربائي او التحليل النفسي ....الخ ويتحدث احد علماء الطب النفسي عن هذه الآليات ونتائجها في ضوء فسلجة بافلوف ونظريات فرويد في التحليل النفسي فيقول[1] (لايخرج هذا الشفاء عن نطاق نظرية بافلوف ولا عن نطاق نظرية فرويد اذ كان فرويد يعتمد على ركن هام في علاجاته النفسية وهو التفريغ او التطهير،فالمريض اثناء التحليل النفسي تروح قافلة افكاره وتجوب عقله الباطن

(1) غسل الدماغ ص162.

وتستخرج الاسرار والغوامض والعقد وتسحبها الى مستوى العقل الواعي وتواجه الشخص بها، أي انها تقوم بعملية تفريغ وتطهير وذلك بفرز وطرد المعضلات المكبوتة وتعريضها الى شمس الحقيقة والواقع،فاذا تم التطهير اصبح المريض على دراية بمسببات مرضه وشعر بالصحة والقوة فالتفريغ النفساني الحديث كتفريغ شحنة كهربائية متجمعة وبعثرتها او توزيعها للتقليل من أذاها، وهي كالتفريغ القديم والبدائي الذي يجري في احتفالات وطقوس العلاجات عن طريق الارهاق الجسمي والرقص والصياح والرتابة الموسيقية والقرع والاصوات العالية، وأقرب مثال على العلاج الشعبي الخرافي ما يجري في حفلات الزار المعروفة في مصر والسودان وما يقاربها من احتفالات المشايخ والدراويش العلاجية في الشرق الاوسط من طقوس اصحاب الطرق المذهبية والتصوفية الخاصة).

وهكذا يخلص الى القول بأن[1] (الامثلة على تشابه جوهر العلاجات الحديثة والقديمة متوفرة جدا فكل الوسائل المتعددة للتأثير على الجهاز العصبي كرقصات الفودو وطبولها ووسائل المعالجين الاهليين وطاردي الشياطين والارواح الخبيثة ومواعظ ويسلي .....جعلها الطب النفساني الحديث وسائل – رقيقة – ونظيفة وخاضعة للتمريض الحديث) ويذكر المؤلف – البرتودي بيرانو–في كتابه – العلاج بالافاعي– كيف عولجت في طرابلس فتاة مصابة بالميلانخوليا على ايدي احد المعالجين الاهليين الافارقة – في ضفدعة لونه كالحناء يقطن الجن المسؤول عن سحر وقوة ذلك الطبيب الأهلي وكان يتوصل الى شفاء مرضاه باحداث ما يشابه نوبات الصرع والاختلاج فهو يطلب من مريضه ان يرقص الى حد الهوس لمدة ساعات على قرع الطبول ...الى ان يسيل الزبد والعرق من شدقيه ...ثم يصرخ على حين

---

(1) ن م ص172.

غرة ويرتمي على الارض فاقد الشعور وهو يختلج وتنزع عنه ملابسه ويغطس عدة مرات في حوض من الماء، وقد رأيت تلك الفتاة بيضاء عارية كالعاج والايادي السود تتناولها وتلفها بالاغطية، حتى اذا استيقظت ابتسمت حالمة وانظارها متجهة الى السماء ...الا يشبه هذا ما يحدث من الرجة الكهربائية فالاختلاج فالاغماء فانحناء المضمدين على المريض يهدئونه ويعطفون عليه حتى يستيقظ؟).

ان وحدة الشخصية العصبية للانسان منذ القدم حتى الآن هي نفسها، فالحضارة لم تغير من آليات مرضها وشفائهاشيئا سوى الاناقة والرقة التي وفرتها التقنيات الحديثة في العلاج أما الآلية فتأثيرها واحد ولهذا وجدنا من علماء النفس من يفسرر وحدة هذا التأثير بقوله[1] (ان جهازنا العصبي موروث وآليته جارية على انماطها المرسومة لها هو الجهاز الذي كان يعمل في ابطال وشخوص هوميروس وهو الذي يعمل الآن في شخوص وأفراد القرن العشرين، والذي تبدل فيها عاداته وتمدينه أما استجاباته فهي هي الشدائد اوالعقاقير او المارسات العنيفة والطقوس المصاحبة التي تؤدي به الى القلق او الاكتئاب،التهيج او الوسوسة،الهسترة او الارتياب او الغضب او الاعتداء، فالانماط السلوكية الاساسية للبشر منذ اقدم العصور وحتى الان هي صفات فسلجية راقدة في جهازنا العصبي).

ان ما نريد الوصول اليه هو انه مع تعدد الطرق الحديثة والقديمة في العلاج الا ان المسألة التي تشترك فيها جميعا هو دور الإيحاء العلاجي فيها ولولا هذا الدور لم تستطع الكثير من العلاجات او الآليات اداء دورها المطلوب يقول احد اطباء

---

(1) غسل الدماغ ص282.

النفس وهو يستعرض العلاجات القديمة والحديثة مستنتجا دور الإيحاء فيها[1] (ان الطرق العلاجية النفسية كثيرة وهي تعتمد مبدأ التأثير على الحالة النفسية للمريض بطرق غير مادية، وحتى اذا ما استعملت الطرق المادية فان الغاية منها هي احداث التأثير النفسي بفعل الإيحاء، ومن الطرق المستعملة في العلاج التنويم والإيحاء وطرق التحليل النفسي والرجوع الى الطاقة البيولوجية والعلاج الجماعي والعائلي والزوجي والاجتماعي وعلاج البيئة والطرق التأملية والطقوس الخاصة بما فيها اساليب السحروالشعوذة والطرق التأملية كالصوفية واليوجا والزن والتسامح الجنسي والتعري والتحسس بالوجود الجسمي اضافة الى وسيلة الرقص والغناء وغيرها من الوسائل المعمول بها في بعض المجتمعات كالتعزيم والخيرة والتمائم والحروز والقراءات اما الوسائل المادية فهي كثيرة ايضا وتتبع المستعمل منها عبر عصور التاريخ يجد بأن ما من شيء الا استعمل لغرض المعالجة من اشربة ومستحضرات نباتية وخلاصات حيوانية يضاف اليها ما هو مستعمل الآن من وسائل كهربائية وجراحية وكيمياوية وبايلوجية).

ويلخص تأثير جميع هذه الممارسات بقوله[2] (واستعراض جميع هذه الطرق يبين بوضوح بانها تعتمد على عنصر الإيحاء وتستغل ليس فقط قابلية الفرد على تقبل الإيحاء وانما ايضا ايمانه بالطريقة وتوقعه للفائدة والخلاص بسببها وثقته بالذي يقوم بها، وهذه بمجملها تكون القواعد الاساسية للعلاج النفسي وطريقة فعله).

ان ما يمكن ان نستخلص من كل ما تقدم من ممارسات سحرية او كهربائية او كيمياوية ان الدماغ البشري يقتضي هذه بطريقة ما قبل الشروع في التفكير

---

(1) النفس ص400.

(2) ن م ص419.

بالشفاء ويتم هذا الاضطراب الفسلجي عن طريق التخويف والاغاضة او التهديد او غيرها ويتبع ذلك استعداد الدماغ لتقبل الإيحاءات، واذا كان العلاج الحديث يستخدم احداث اغماءات او اختلاجات عبر العقاقير الكيمياوية او الصدمة الكهربائية او غيبوبة الانسولين او حتى عملية قص جزء من الفص الدماغي الجبهوي او استخدام العلاج النفسي السلوكي فان الإيحاء يبقى له التأثير الكبير لانه اساسا يقوم على الإيحاء الى العقل الباطن في علم النفس او على الدماغ المسؤول عن اللغة وشرطية استجاباتها كما يقول بافلوف او على النفس الداخلية كما يقول الروحيون كما انه يستخدم حتى العقاقير الطبية والممارسات الكهربائية وبدونه يبقى التأثير أجوفا بل ان هذه الممارسات انما هي مقدمات ايحائية لاحداث الشفاء كما هي ممارسات السحر الغامضة والمعقدة نفسها).

معجزة الشفاء بين قوة الدواء وقوة الإيحاء

في احد المواقع على شبكة الانترنت وفي مجلة الثقافة النفسية المتخصصة عرض لأحد الكتب العلمية حديثا نجد النص التالي[1] (الطب لا يزال عاجزا وهو سيظل كذلك بهذه الكلمات اسر احد كبار اساتذة الطب العالميين في كتاب له بعنوان (الطب كفايات واحباطات (زداد ازمة الطب في محاولاته الحفاظ على عمليته في وجه الشفاء العجائبي وشعبيته،ومن اهم فروع هذا الشفاء فرعان يشكلان تحديا مؤرقا للطب، الاول هو الشفاء بالإيحاء والثاني الشفاء به لبلاسيبو او العلاج الخادع،ويتداخل هذان الفرعان حتى يصعب الفصل بينهما).

ويعلق كاتب الموضوع في عرضه للكتاب على ان براغماتية الطب الامريكي تخطت المعرفة الى الدراية فاستطاعت تجنيد ممارسات شفائية عديدة لخدمة المرضى على الرغم من الشك في علميتها لذلك كان من الطبيعي ان ينشا الطب السيكوسوماتي في احضان الطب الامريكي،ومن ثم ان يتسرب الى اوربا كي يكتسب بعض العقائدية النظرية،وآلية الشفاء بالبلاسيبو لا تختلف في راينا عن آليات السيكوسوماتيك الشفائية،اذ يحرك الدواء المخادع الآليات السيكوسوماتية التي لا تزال غامضة وغير محددة بدقة علمية كافية).

وقبل ان نخوض في مدى قوة الدواء بمقابل قوة الإيحاء على تحقيق معجزة الشفاء الاعتيادي والخارق لابد لنا ان نحدد هوية الشفاء بالبلاسيبو وهل هو ايحائي او دوائي ثم بعد ذلك ننطلق الى آليات الامراض السايكوسوماتية التي تتحرك بالإيحاء او بالبلاسيبو على السواء فتحدث الشفاء بعد المرض.

---

(1) مجلة الثقافة النفسية المتخصصة –العدد 49 كانون الثاني 2002.

ان الشفاء بالبلاسيبو والذي يسميه البعض العلاج التمويهي او الخادع يقوم على استخدام ادوية لا فعالية لها لتوظيف قناعة واعتقاد المريض بها وبالطبيب المعالج ذاته في صالح العلاج،وبمراجعة تاريخية لاصل استخدام الإنسان للدواء نجد ان بعض العلماء يقول فيها[1] (وفي سعي الإنسان لاكتساب الشفاء وتخفيف المعاناة لم يترك مادة عضوية او غير عضوية الا لجا اليها اما مفردة او مع غيرها من المواد فاستعمل كل شيء من افرازات الحيوانات الى مساحيق الحشرات ومستحضرات النبات، ومن الواضح ان مجمل هذه المستحضرات لم يكن لها فعل مباشر كدواء على الحالات المرضية التي استخدمت في علاجها ومع ذلك فان بعضها كان وما يزال يحدث تأثيرا علاجيا ايجابيا في بعض الحالات المرضية النفسية منها والجسمية في الكثير من الناس، وبالرغم من تقدم الفن العلاجي ووفرة العقاقير والمواد الدوائية ذات الفعل المحدد في يومنا هذا فان الكثير من الادوية والوسائل العلاجية المستعملة حاليا لا تفعل في المريض عن طريق مباشر ومحدد وخاص بالحالة المرضية وانما عن طريق تأثيرها في الحياة النفسية للمريض، ان لمعظم الادوية الخاصة والمباشرة الفعل آثارا أخرى غير الآثار الناجمة عن فعلها الخاص ... وهذه الآثار الاضافية هي بسبب تأثيرها على الواقع النفسي للمريض وملاقاتها لتوقعاته، وهذا الاثر في الحالتين هو ما يسمى بالتأثير التمويهي – البلاسيبو).

ويمكننا ادراج الادوية السحرية التي كان يستخدمها الإنسان القديم والتي ليس لها مفعول حقيقي ولكن تعقيداتها وطرق اعطائها والغرائب الايحائية التي تمارس خلال شفائها انها من اقدم الادوية التمويهية التي استخدمها الإنسان، وهذا ما قرره الباحثون في طبيعة التأثير التمويهي لهذا الدواء حيث يقولون بان لكل دواء

(1) النفس ص467.

فعال فعلين الاول هو فعله الذاتي وهو مادي والثاني بسبب ما يحدثه في النفس من انفعال، وهذا الاخير هو فعل التمويه البلاسيبو، أما اختلاف تأثير هذا الدواء على المرض فيتوقف على حالة المريض النفسية وتوقعاته من الدواء كما يتوقف على طريقة الاستعمال وطبيعة علاقة الطبيب بالمريض والثقة التي يزرعها فيه وقد بقي الطب حتى اليوم حائرا في تفسير هذا التأثير الوهمي على المرض وان كان من الطبيعي افتراض ان انفعالات النفس تؤثر في الجسم عن طريق تأثير ذلك على الميزان الكيمياوي والهرموني.

ان الإيحاءات التي تمليها طريقة الاخراج المسرحي لاعطاء الدواء يكون لها الاثر الكبير في فعالية الدواء غير الفعال،وهذه الطريقة لاتقف عند حدود الإيحاء الكلامي المصاحب لاعطاء الدواء بل على شكل الدواء من حيث كونه حبوبا أو ابرا أو ماشاكل ذلك بل تصل الىحد القول انه حتىالعلاجات الكهربائية والحرارية والمياه المعدنية والشعاعات والعمليات الجراحية الكاذبة كلها لها أثر واضح في خلق الإيحاء الايجابي الذي ينعكس على نفسية المريض وبالتالي على استجابته للدواءوثقته المطلقة فيه وبالطبيب وبطريقة العلاج الغرائبية هذه.

لقد جرت دراسات عديدة لفحص فعالية الادوية الحقيقية مقارنة بالادوية الوهمية هذه وتبين ان الادوية الحقيقية لا تزيد كثيرا عن فعل الادوية التمويهية وهذا ينطبق كذلك في مجال الهرمونات والفيتامينات والمهدئات وغيرها من الادوية والعقاقير، كما انه يفيد اكثر في مجال الامراض المستعصية التي لايفيد فيها دواء معين والامراض ذات الطابع الوسواسي خاصة،

لقد عرف قاموس دورلاند الطبي المهدئات بنفس تعريف الدواء التمويهي حيث جاء فيه مايلي[1] (هي مواد او مستحضرات غير فعالة تعطى للمريض لارضاء حاجته الرمزية للعلاج الدوائي وتستخدم في دراسات محددة لاستشفاف فاعلية المواد الطبية، فهي عملية تفتقر الى القيمة العلاجية الحقيقية وتستخدم لتلك الاغراض) وهكذا يخلص الطب اليوم الى تحديد فاعلية او عدم فاعلية الدواء من خلال الوضع النفسي للمريض والإيحاءات الايجابية او السلبية التي يتركها في نفسه طبيبه المعالج[2] (ان فاعلية الادوية الفعالة وكذلك غير الفعالة يمكن ان تتأثر بالوضع النفسي للمريض، فالمرضى القلقون على مرضهم الذين يتعرضون الى انزعاج كثير يحسون بالراحة بصورة اكثر لأخذهم حبة اومادة غير فعالة مقارنة بالمرضى غيرالقلقين وكذلك فالمريض الذي يعتقد بان العلاج سيكون فعالا يكون اكثر فرصة للاستفادة منه).

ان الدراسات المعمقة ذات الطابع الصيدلاني للادوية اثبتت ان التأثير المهديء الايجابي مرغوبا اكثر من دواء له اعراض جانبية ويتساءل البعض تساؤلا واضحا وهو يعلم حقيقة الصيدلية الدوائية قائلا –ان كل الادوية سموم فالادوية تعمل غالبا على تغيير التركيب البايوكيمياوي للجسم فان التغيير يصبح مرغوبا فالمنافع في الدواء ستفوق مخاطره خاصة حينما لا تتوافر بدائل اخرى– فلماذا يتم اللجوء الى الدواء الحقيقي مع هذه المخاطر ولا يلجأ الى الدواء التمويهي الذي لا ضرر منه اساسا؟.

---

(1) العقل والجسم ص63.

(2) ن م ص66.

لاشك ان استعمال الدواء الوهمي لايمكن وصفه الا بأنه ايحاء لأن تأثيره يتوقف على كيفيات ايحائية جوهرها اعطاء دواء كاذب لتغيير الحالة النفسية ايجابيا تجاه الشفاء، وقد بحث الدكتور رويحة وسائل المعالج بالإيحاء فتحدث عن الاسلوب المباشر والاسلوب غير المباشر والعلاج بالبلاسيبو هو علاج غير مباشر بالإيحاء يقول الدكتور رويحة يصف ذلك[1] (وفيه- الإيحاء غير المباشر- لايعرف المريض بانه يعالج معالجة نفسية، كما ويستعين فيه الطبيب بواسطة دوائية للتأثير على نفس المريض فالاليحاء في اسلوبنا هذا يصبح -ايحاء مقنعا- بالدواء لان المريض لا يعرف به والطبيب يؤكد له بان الدواء الذي يعطى له سيكون عاملا في تحقيق الشفاء التام، والمهم في الموضوع هو اعتقاد المريض بفعالية الدواء في حين ان الدواء -حيادي-ليس له أي مفعول خاص في المعالجة سوى كسب ثقة المريض والإيحاء مهما كان نوعه يستهدف شفاء المريض من اعراضه المرضية - والإيحاء المقنع- ليس له علاقة مباشرة مع الاضطرابات في النفس التي سببت الاعراض المرضيةالمراد معالجتها ومنع استمرار هذه الاعراض..

ويفهم مما تقدم ان الإيحاء غير المباشر او الإيحاء المقنع يتكون من ثلاثة اجزاء اولها الدواء الذي يعطى للمريض ولا فرق في ان يكون هذا على شكل اقراص بلع او يكون سائلا للشرب او يكون احد الوسائل العلاجية الفيزيائية كالكهرباء وغيرها، أما الجزء الثاني من الإيحاء المقنع فهو ما يوجهها الطبيب لمريضه من كلمات ايحائية عند تناوله الدواء وثالث الاجزاء للايحاء المقنع هي الطريقة -المظهر الخارجي -التي تستعمل لاعطاء الدواء -اخراج المسرحية) على ان العلاج الايحائي قد يصل الى حد اجراء العمليات الجراحية وهميا مع ترك آثار مثل هذه العمليات

(1) التداوي بالإيحاء الروحي ص88.

واضحا على جسد المريض وكأنها عملية حقيقية وهذا ما عرضه الكاتب الامريكي في كتابه الجديد عن العلاج بالخداع او ما نسميه العلاج التمويهي مع الإيحاء المناسب حيث جاء فيه[1] بأن الامر يبدو كما لو كان معجزة طبية بل هو بالفعل معجزة حيث استطاع الاطباء بشكل ما علاج امراض لم يعرف لها علاج بصورة قاطعة من خلال الإيحاء للمريض، والحالة التالية تمثل نموذجا لهذه المعجزة،فالمريضة كانت تعاني من حالة مرض باركنسون –الشلل الرعاشي– حتى ان الصور التي التقطت لها اظهرت حدة هذه الحالة لدرجة ان المريضة لم تكن تقوى على السير بضع خطوات، ولكن بعد حوالي شهرين قامت احدى المحطات التلفزيونية الاخبارية بتصوير هذه السيدة وهي تسير بشكل طبيعي في غرفتها بعد اجرائها لاحدى جراحات المخ لعلاج المرض،المفاجأة ان الجراحة التي اجريت للمريضة كانت وهمية ونوعا من الإيحاء او الايهام حيث اكد لها الأطباء انها ستخضع للعلاج في اطار دراسة على عمليات زرع الخلايا، وبالفعل تم وضع المريضة تحت تأثير المخدر وأحداث بضعة ثقوب في الجمجمة دون نقل اي خلية جديدة للمخ، وبالتالي فان حالة التحسن التي طرأت عليها كان مرجعها رد فعلها الايحائي او اثر البلاسيبو، واكدت الابحاث ان المرضى الذين خضعوا لهذه الجراحات الايحائية قد حققوا فائدة مماثلة للذين مروا بعملية زرع خلايا في المخ)

ان التحليل الذي يقدمه مؤلف الكتاب يستند الى ان العقل يمكنه شفاء الجسم اذا امتلأ بروح الامل والتفاؤل ثم يطرح سؤالا هل بامكاننا تفجير قوى البلاسيبو عن وعي منا او بإرادتنا؟ ويستعرض الموضوع عبر ما طرحته مجلة نيوزويك الامريكية في موضوع البلاسيبو والعلاج بالإيحاء حيث ذكرت المجلة ان الباحثين

(1) مجلة الثقافة النفسية المتخصصة –الانترنت.

استطاعوا التعرف على عدة طرق او روابط تربط الحالة العقلية والصحية الجسدية،فمن المعروف على سبيل المثال ان الافكار المهدئة تبطيء من انتاج هرمونات التوتر الضارة، وفي جامعة هارفرد تتحدث العالمة -ان هارنجتون-ان البلاسيبو هو الاكاذيب التي تساعد على الشفاء وان كثيرا من الاطباء يلجأون الى هذا الاسلوب في معالجة مرضاهم، ففي الاربعينات لجأ الاطباء الامريكيون الى اعطاء مرضاهم اقراصا من السكر وايهامهم بأنها عقاقير طبية نافعة واستطاعوا من خلال الاكاذيب ان يساعدوا في شفاء مرضاهم واكتشف الاطباء ان الإيحاء قد يكون اكثر فاعلية من العقاقير الطبية

ويستشهد المؤلف بابتداع اطباء في ولاية تكساس ما يدعوه جراحة اللاشيء او العدم واستخدموها بكثافة في علاج آلام الركبة والمفاصل حيث يقومون بتخدير المريض واجراء فتحة كبيرة في المشرط حول الركبة دون ان يفعلوا أي شيء داخلها وكانت المفاجأة بعد عامين من هذه الجراحة الوهمية ان امتثل جميع المرضى للشفاء واختفت الآلام واصبحوا يعيشون حياة طبيعية.

ويعدد المؤلف استخدامات البلاسيبو والإيحاء فعلماء النفس كما يقول اكتشفوا انهم يستطيعون تحقيق الشفاء لمرض الاكتئاب النفسي من خلاله وفي دراسة حديثة لمرض الصلع تبين ان استخدام هذا التكنيك الوهمي يساعد على عدم سقوط الشعر ونموه بشكل غزير،وفي جزيرة -كوشر-في فنزويلا تم اجراء تجربة على الاطفال المصابين بمرض الربو بحيث كان يقدم لهم دواء لتوسيع الشعب الهوائية مطحونا وشمة من الفانيلا ثم بدأوا بعد ذلك في منع تقديم ادوية توسيع الشعب والاكتفاء بالفانيلا وللغرابة فان رائحة الفانيلا وحدها كانت تعمل على

زيادة كفاءة عمل الرئة لدى الاطفال المصابين بشكل بلغ 33٪ مثلا لاستخدام الادوية الموسعة للشعب وحدها.

لقد ضرب الدكتور رويجة نموذجا للعلاج التمويهي والإيحاء المقنع كما يسميه وهوايحاء غير مباشر يقول[1] (لمعاجة طفل مصاب -بمركب الخوف من الظلمة-بالإيحاء المقنع نعطيه دواء منوما ونقول له كلمات الإيحاء ان هذا القرص الذي بلعته الآن سيزيل خوفك من المكوث بالظلمة وهذا ما سيحدث بكل تأكيد اذا شعرت بعد تناول القرص بتعب في جسمك، وبعد قليل يبدأ مفعول القرص المنوم ويبدأ الطفل بالشعور بثقل وتعب في جسمه، وعلى أثر ذلك يبدأ ترابط افكار عند الطفل كالآتي: تقول افكار الطفل لنفسها ها قد ظهر التعب في الجسم وتحق ما قاله الطبيب مسبقا، وكذلك قال الطبيب ان القرص سيزيل خوفي من الظلمة فما دام الشق الاول من اقواله قد تحقق فعلا فلابد للشق الثاني منها ان يتحقق ايضا،فالدواء هنا اطلق فعالية ايحائية، وتزداد هذه قوة اذا اعطي الدواء بطرق معقدة غير عادية كأن يصب في المعدة مباشرة بواسطة القسطرة المستعملة لغسلها بدلا من اعطائه بطريقة الشرب المعتادة).

ولاشك اننا اذا اردنا قياس قوة الدواء الحقيقي بقوة البلاسيبو والإيحاء فلابد ان نتعرض الى الامراض السيكوسوماتية وتأثير الإيحاء فيها والتي يشير اليها المؤلفون المعاصرون كثيرا، والامراض السيكوسوماتية كما تعرفها الانسكلوبيديا البريطانية هي[2] الاستجابت الجسمية للضغوط الانفعالية والتي تأخذ شكل اضطراب جسمي، ويعرفها بعض الاطباء بانه الاضطرابات التي يلعبها العقل او

(1) التداوي بالإيحاء الروحي ص88.

(2) الامراض السيكوسوماتية ص36.

النفس في الوظائف البدنية الجسميةويقول الاطباء انه عندما تبدأ التوترات الانفعالية في العقل فانها تؤثر في وظائف البدن فالغضب يجعل المعدة دائما متهيجة ويكون بذلك بداية القرحة وهكذا فان بعض العمليات الحيوية تتأثر بالانفعالات فارتفاع ضغط الدم وسرعة دقات القلب وحركات الهضم وتدفق عملية الهضم كلها تتأثر بقوة الانفعالت وعندما تستمر هذه الانفعالات تنتج تغيرات بدنية هامة وهكذا يستنتجون ان الصحة الجسمية تتأثر بالصحة الشخصية فالعقل يؤثر في البدن اكثر بكثير مما يتأثر بالبدن، اما التعريف الاجرائي فيذهب الى ان[1] (الاضطرابات السيكوسوماتية هي الاضطرابات الجسمية المألوفة للاطباء والتي يحدث بها تلف في جزء من اجزاء الجسم او خلل في وظيفة عضو من اعضائه نتيجة اضطرابات انفعالية مزمنة نظرا لاضطراب حياة المريض والتي لايفلح العلاج الجسمي الطويل وحده في شفائها شفاء تاما لاستمرار الاضطراب الانفعالي وعدم علاجهم اسبابه الى جانب العلاج الجسمي).

ويطلق الاطباء على هذه الامراض بانها[2] امراض العصر للعلاقة الوثيقة بين الضغوط النفسية والتوتر الداخلي لأن أي نوع من الانفعالات لابد ان يصاحبها تغيرات بدنية خارجية وتغييرات فسيولوجية داخلية فانفعالاتنا الخاصة بالسرور او الحزن بالتوتر او الراحة بالقلق او الاطمئنان انما يعكس تأثيرها المباشرعلينا،هذا وتعتمد حياتنا الجسمانية بشكل قوي ومباشر على الجهاز العصبي حيث يتولى مهمة التحكم بافرازات الغدد القنوية والصماء التي تعكس نشاطها على الجهاز العصبي بطريق عكسي وذلك بان يتلقى الجهاز العصبي الاحاسيس

(1) ن م ص47.

(2) مدخل الى الطب النفسي ص41-42.

على شكل شحنات عن طريق الضوء والصوت والحرارة والرائحة وغيرها من المؤثرات التي يمتصها الجهاز ويحولها الى حركة وافكار واحاديث فكل حركة وسكنة في الجسم الإنساني تعتمد بشكل تام على الجهاز العصبي، حيث لا يتحرك أي شيء الا بأمره فهو اذن المهيمن على كل شيء حتى على الافكار والحركة وكأنه الصور الحياتية ابتداء بالتنفس وانتهاء بالدورة الدموية والنشاط الذهني واللاشعوري فهو اذن القائد المسؤول والرابط الرئيسي للسلوك وردود الافعال الفسيولوجية والاستجابات المرضية أي لكل كياننا بشكل كلي غير متجزيء.. والتغيرات الحشوية داخل الكائن الحي تسعى للمحافظة على التوازن الهيموستازي – البيوكيمياوي- للبيئة الداخلية في الجسم الذي يشمل تنظيم الحرارة وضربات القلب وضغط الدم ومعدل التنفس واذابة السموم التي تتراكم احيانا، فأي انفعال نفسي خارجي يؤثر حسب درجته وشدته بشكل فوري وسريع على التوازن الداخلي وذلك يتضح بما تقوم به الاجهزة الفسيولوجية كالمعدة والقلب والرئتين من ردود غريبة مشيرة الى خلل في التوازن الهيموستازي البايوكيمياوي للجسم مما يبدو على هيئة مرض في النهاية، وتظهر المصاحبات والترابط الفسيولوجي للسلوك في حالة الازمات الانفعالية في عمل الجهاز العصبي المستقل الذي يمثل الميكانزم السوي اللاارادي الذي يحافظ على التوازن الهيموستازي.

وهكذا نرى ان الامراض السيكوسوماتية تأتي نتيجة لضغط انفعالي او مستمر من مشكلات واعباء الحياة اليومية التي يعيشها الإنسان المعاصر في هذا العصر الذي يسمى بعصر القلق والسكتة القلبية والجلطة الدموية والذبحة الصدرية والسرطان والتهابات الدماغ والروماتزم والعصاب والفصام والهستيريا والذهان.

أما ميكانيزم المرض السيكوسوماتي بضوء ما تقدم فيكون في حالة اعاقة الطاقة الحشوية عن الانطلاق في سلوك خارجي مناسب بالعمل او اللفظ كأن يمتنع الفرد عن الهرب في حالة الخوف او الدفاع في حالة الغضب فيزداد تراكمها وتشتد وطأتها فتتضخم الاضطرابات والتوترات الحشوية مما قد ييحدث للفرد اعراضا من الصداع او القيء او سوء الهضم او الاسهال او الامساك او اضطراب التنفس والربو او ضربات القلب ....أي انه اذا لم تتمكن انفعالاتنا من التعبير الظاهر عن نفسها بصورة ملائمة تتولى اجسامنا التعبير عنها بما تستهلكه من لحم ودم.

ان هذه الحقائق التي اصبحت معروفة اليوم بشكل واضح هي التي قادت الى نشوء طب جديد يسمى الطب السيكوسوماتي لعلاج الإنسان كوحدة حية نفسية واحدة وعدم تجزئة الإنسان وعلاجه الى نفس وجسد بل الى شخص واحد[1] فليس الطب السيكوسوماتي اذن فرعا من الطب النفسي ولا هو وقف على طائفة من الاخصائيين،بل هو اتجاه جديد في الدراسة الاكلينيكية عموما ثم ليس الطب السيكوسوماتي بحثا عن العوامل النفسية في نشأة الامراض العضوية بل هو دراسة الاعراض المرضية جميعا الجسمية منها والنفسية وادماجها في اطار واحد هو اطار شخصية المريض ووحدته الاصلية وغير خاف ان هذا يعني ان الطب السيكوسوماتي ينكر ان يكون المرض جسميا بحتا او نفسيا بحتا ويرى ان واجبنا ان ننظر الى أي حد يكون جسميا والى أي حد يكون نفسيا).

وهنا نأتي الى التساؤل عن دور الإيحاء والعلاج التمويهي او البلاسيبو في علاج الامراض السيكوسوماتية وما هي الآليات التي يستخدمها لهذا الغرض؟

---

(1) في النفس ص251.

لقد سبق ان ذكرنا بان باستطاعة الإيحاءات احداث تغييرات موضوعية في الجسم وان من الثابت ان تحفيز الجهاز العصبي يستطيع ان يؤثر في الجسم كله، فالإيحاء المناسب في حالة التنويم المغناطيسي يغير ضغط دمك اضافة الى تغيير ذبذبات النبض تركيب الدم وافراز عصارات الجسم، ويشير بعض الكتاب الى دور الإيحاء في الامراض السيكوسوماتية بقوله[1] (هناك مجموعة كبيرة من الامراض النفسية-الجسمية تنشأ عن الارهاق المستمر او بتأثير اعراض المرض الشديدة او نتيجة التوتر العصبي او بسبب انفعالات مستمرة اخرى في الجهاز العصبي، وبوسعنا وضع قائمة طويلة لمثل هذه الامراض، الربو، انواع معينة من الاسهال، قرحة المعدة، ارتفاع ضغط الدم، والحساسية، ويذهب بعض الاطباء الى حد القول بان جميع الامراض فيها وجه من اوجه الطب النفسي – الجسمي، ويكون للوضع النفسي للفرد تأثير كبير في مكافحة المرض وحسب هذا الرأي فمن الجائز ان تكون من جملة اسباب مرض السرطان اسبابا نفسية ايضا.. ان الامراض النفسية – الجسمية قد تشفى او تتحسن عن طريق الإيحاء او تغيير اسلوب العيش مع ملاحظة ابعاد التأثيرات التي تسبب الاضطراب النفسي وتتعلق المسألة في هذه الامراض باضطرابات وظيفية حسب،كما هي الحال في التلعثم او العمى الهستيري..الخ انها ترتبط دائما بتغييرات موضوعية في الجسم لذا يتطلب شفاؤها اعادة ترميم موضوعي ايضا للاجهزة المصابة بالمرض وقد تشفى بعض الامراض الجلدية مثل الثآليل من طريق التنويم المغناطيسي) ان الدكتور رويجة في تحليله لتأثير الإيحاء على الامراض فانه يرجع التأثير للارادة في الوعي ويرجع تأثير التخيل في العقل الباطن ويشرح ذلك مفصلا بقوله[2] في حين ان الارادة هي

(1) تدريب الادراك الحسي الفائق ص63.

(2) تدريب الادراك الحسي الفائق ص62.

بالدرجة الاولى قوة للعقل الواعي تعنل ذاتيا باجهاد يكون التخيل قوة للعقل الواعي والعقل الباطن معا، والتخيلات في خفايا اعماق العقل الباطن تأتي دون اي اجهاد بانجازات عظيمة لا تستطيع الارادة مهما اجهدت نفسها ان تأتي بمثلها، والارادة تستطيع القيام بإنجازات في مجال العضلات الخارجية على ان تكون هذه خالية من الامراض والاصابات .....وفي المجال السطحي للعقل الواعي، ولكن الارادة لا تستطيع ان تزيل ألما او تشفي من مرض بعكس التخيلات التي تستطيع بفضل فعاليتها في اعماق العقل الباطن ان تطفيء شعلة الالم، وان تشفي امراضا جسمانية وامراضا –نفسية- روحية- مما لا تستطيعه الارادة مطلقا).

على ان الباحث الامريكي في كتابه عن العلاج الخادع يتجه الى تأثير الإيحاء بما يسميه الصيدلية الداخلية للجسم ويضرب مثلا على ذلك بزوجته التي نشأ عندها عظم في اسفل قدمها وكانت راقصة فنون شعبية فلما استعملت الإيحاءات عبر احدى الشخصيات فانها زالت هذه العظمة بدون ان تشعر بها ولا ان تقيمها بعملية جراحية، ويقول المؤلف ان الجسم البشري يفرز تلقائيا مادة –الشفاء الذاتي- لكنه احيانا يكون بطيئا في افراز هذه المادة وفي هذه الحالة يكون في حاجة الى مساعدة خارجية لحث صيدلية الجسم على العمل بكفاءة وكذلك الاستجابة للعلاج بالبلاسيبو فهي تحتاج الى مساعدة خارجية تتمثل في بعض العقاقير الايحائية لتساعد على الشفاء.

ان جسم الإنسان –كما يقول المؤلف- تركيبة معقدة يعد احدهم ملامحها تكوينه للعلاج المناسب للخلل الوظيفي الذي قد يصيب احد اجزائه فهو يقوم بافراز بعض العناصر الكيميائية اوتوماتيكيا لعلاج المرض بمقدار معين وهو ما يعرف بالصيدلية الداخلية،أي المصطلح الذي يلقي بعضا من الضوء على

الاستجابة للعلاج بالبلاسيبو وعندما نأخذ نظرية الصيدلية الداخلية في الاعتبار لا يمكننا ان نرى فرقا ملحوظا بين قوة الخيال على العلاج والقوى الجسمية المتأصلة للعلاج.

فالصيدلية الداخلية هي احدى القوى الجسمية المتأصلة للعلاج بمعنى انها موجودة كجزء اساسي من أجزاء الجسم فهي ليست خاصية مكتسبة يكتسبها الجسم بالخبرة او الممارسة ولاهي خاصية اضافية،وفي العلاج التلقائي يتجه الجسم لشفاء نفسه دون الاعتماد على أية رسائل داخلية او خارجية موجهة للمخ لاستثارة هذا العلاج لكن في العلاج بالبلاسيبو يعتمد الجسم بصورة اساسية على رسالة موجهة اليه لها اتجاه معين ويتم توجيهها للمخ إما عن طريق المريض نفسه وإما من الشخصية المعالجة له، هذه الرسالة تعمل على حث المخ ودعمه لرفع تأثير علاج موجود بالفعل داخل الجسم او بمعنى تحسين سير العملية العلاجية ويصفها الدكتور – اندرو تايلور– مؤسس علم التخدير بأنه مخزن الدواء الالهي. كما تمكن العلماء مؤخرا من التوصل الى ان جسم الإنسان يقوم بانتاج مادة كيميائية مخدرة هي الاندروفين التي تعمل على التخدير وتسكين الآلام والتي يتم انتاجها ضمن عناصرالصيدلية الداخلية للجسم وليست هناك قاعدة تقضي باختيار الجسم او تفصيله بين العلاج الداخلي او الخارجي لشفائه وانما يحدد الشفاء السريع عن طريق ربط العلاج الخارجي بنتائج الصيدلية الداخلية.

الإيحاء بين البرمجة العصبية اللغوية وغسل الدماغ

اذا ما انطلقنا من البديهية النفسية التي اقرها علماء النفس وصاغها العالم النفساني الفرنسي التي تقول [1] (عندما تفرض فكرة ما نفسها على عقل انسان الى درجة الإيحاء،فإن كل محاولاته الارادية لمجابهة تلك الفكرة قسريا ومقاومتها تسير عكس ما يشتهيه ويتمناه عقله الواعي – وقد تزيد من حدة وتكرار تلك الفكرة).

فإننا لابد ان نسلم بخطورة الإيحاء الفردي والجماعي في خلق مذهبية فكرية سلوكية معينة لا تقبل التغيير والتي يمكن وصفها حينذاك بان هذا الدماغ مغسول ولا يفيد به أي تأثير مغاير حتى التعذيب الجسدي بل والموت نفسه.

لقد كانت المفاجأة الكبيرة التي اصابت الولايات المتحدة الامريكية حينما وجدت ان جنودها الاسرى لدى كوريا بعد الحرب عادوا مؤمنين بالمباديء الاشتراكية متحمسين لكوريا وممتنين لحسن معاملة الكوريين لهم، بل ان كل واحد من اثنين من هؤلاء الاسرى بعد غسل ادمغتهم من قبل الكوريين تعاونوا معهم باعترافات وتصريحات ضد الولايات المتحدة الامريكية واخبروا عن زملاء لهم في المعتقل ....ألخ من هنا كان الكاتب الامريكي هنتر قد استخدم مصطلح غسل الدماغ لوصف المحاولات المخططة او الاساليب السياسية المتبعة من قبل الشيوعيين لاقناع غير الشيوعيين بالايمان والتسليم بمبادئهم وتعاليمهم.

ومنذ ذلك الحين والدراسات النفسية والفسيولوجية قائمة على قدم وساق لدراسة العقل البشري وكيفية زرع الافكار فيه بحيث تتحول الى عقيدة ثابتة لا تتغير ما دام الإيحاء بها قد وصل الى حد المذهبة والقولبة التي لا تتغير،وقد دخلت

(1) غسل الدماغ ص79.

فسلجة الاعصاب والجراحة العصبية الى هذا المجال وصولا الى التأثير الالكتروني على الدماغ عبر ذبذبات كهربائية صناعية وصولا الى التسيير الدماغي الآلي الذي يستجيب للتغذية الفكرية المطلوبة بعد ان كان التنويم المغناطيسي وايحاءاته هو الاساس لدى الممارسات في الحضارات القديمة، ان الدراسات النفسية والفسيولوجية الحديثة استطاعت ان تنزل الى اعماق الوعي الإنساني بحيث استطاعت ان تزرع الإيحاءات الذاتية او عبر التنويم المغناطيسي في اللاوعي لكي تعبر عن نفسها بعد ذلك في السلوكيات محددة غرضها شفاء المريض او تشجيع الضعيف او خلق سلوك ايجابي اخلاقي بدل السلوك السلبي اللااخلاقي.

ولو حاولنا استعراض الابعاد النفسية لقدرة الإيحاء حسب ما قدمته خلاصات الدراسات النفسية والباراسيكولوجية وغيرها لأمكننا ان نطلع على درجة تقدم هذه الدراسات بحيث يكون الإيحاء هو القوة الاساسية في تغيير طباع الكائن الإنساني لنفسه وطبيعته او شخصيته بما ينسجم مع ما يريده هو، أي ان يصنع نفسه بإرادته عبر الإيحاءات الذاتية التي يستخدمها لتنفيذ ذلك، وقد يطلق على هذا العمل مفهوم البرمجة الذاتية عبر الإيحاءات، ففي فصل كتبه – وليم فالكير اتكينسون- في كتابه – قوة الفكر في الحياة العملية – تحت عنوان – تربية الطبع عن طريق السيطرة الروحية – جاء فيه قوله[1] (ان الإنسان قادر على تنمية روحه بقوة الارادة لدرجة تجعله يصنع من نفسه كل ما يريد، ماقي ريب انه يستطيع اعادة تقويم نفسه، فالإنسان هو بالضبط ما يعتقده بنفسه،هذه حقيقة وزعم جريء وحتم صحيح) ويضيف بأن الطريقة الجديدة بسيطة جدا وعملية للغاية وتجعل – اعادة صنع النفس- امرا ممكنا، ويشرح آلية هذا العمل بالرجوع الى ما سماه

(1) قوة الفكر في الحياة العملية ص91.

الوظيفة الايجابية التي تشرف على التفكير الواعي الارادي الاصلي والوظيفة السلبية التي تخضع للايحاءات الغير عبر التنويم المغناطيسي مثلا –انه ذلك الجزء من العقل الذي يمسك به المنومون المغناطيسيون بعد ان يواتيهم اضعاف الوظيفة الايجابية وينسب اليها وظيفة العادات، وهي سهلة التعرض للتأثير فبالاعادة والتكرار من جديد لما يراد ان يصدق يجعلون ذلك الفرد في نهاية المطاف يتقبل الفكرة الجديدة ويصير الى تطبيقها نمطيا على المنوال السابق أي ان هذا ينطوي على التعود في الافكار والنشاط والمزاج والطبع، والإيحاء الذي تعمل على اساسه الوظيفة السلبية قد ينطلق من عقلك الذاتي النشط او من الغير –وهكذا يخلص الكاتب الى القول –وللتخلص من عادات التفكير القديمة واستبدالها بنمط تفكير جديد يمكنك اختيار طريقة او اكثر فالنتيجة يمكن تحقيقها بقوة الارادة المحضة او بإيحاء تنويمي مغناطيسي من قبل شخص مجرب مناسب او بطريقة ثالثة معروفة لنا وهي الإيحاء الذاتي الذي يعطيه لشريكك السلبي الشريك الايجابي واخيرا ثمة طريقة رابعة اطلق عليها امتصاص الافكار –.

ان مضمون الإيحاء الذاتي كما يصفها الكاتب تعمل بكيفية معينة هي ان يكرر الإنسان عبارات معينة فلطرد الخوف مثلا يكرر عبارات انا لا اخاف، عندي ثقة، لقد قضيت بنفسي على الخوف،كلا لاخوف عندي وما شابه ذلك، هذا الإيحاء الذاتي يجب ان يعمل بالضبط كما لوكنت تقصد ايحاء شخص آخر يقتضي ان تكرس له نفسك،وظيفتك السلبية يفترض بها ان تساعد على اعتقاد ما تقول وحين تضمن وظيفتك هذه الثقة بكلماتك وتجدها صحيحة فانها ستبدأ العمل بمنطوقها فعلا – ولو طبقت هذه الطريقة بشكل جاد تماما وبإيمان فإنك ستشعر من اول وهلة براحة، ولكن عليك ان تتذكر ان عقلك السلبي اذا ما عكر عليك وعيك بافكار وجلة فانه يترتب عليك ان تستمر بتكرار تأكيدك على زوال الخوف لغاية ما

يجلو هذا الزائر الواغل بلا عودة،في البداية سيبدو لك هذا مملا لان الفكرة المقلقة واثقة من تقبلها بشكل جيد، ولكن مثلها مثل الكلب العضوض الذي سرعان ما سيعرف ان لديك هراوة، واذا اضفنا لهذا ما دعاه الكاتب امتصاص الافكار فان العملية ستتم بدون شك، وامتصاص الافكار يشرحها الكاتب بقوله[1] (في هذه الحالة اجعل نفسك في وضع قابل للإيحاءات تماما على نحو ما تفعل امام المنوم المغناطيسي عندما يشرع بعمل الإيحاء لك كلما كنت سلبيا اكثر سيكون العمل اقوى – وبكلمة اخرى – أرخ نفسك تماما وصر جسدا وروحا خاملا تماما، وبهذه الشاكلة يتحرر العقل النشط من واجباته وتنتقل السيادة السائبة الى العقل السلبي وحده – عندها عليك ان تتمسك بثبات داخل نفسك بفكرة – لاخوف عندي– وما شابه ذلك، وارسم في مخيلتك صورة تبدو فيها مقداما غير هياب جريء الفعال شجاع شجاعة معنوية وبدنية وطارد بهراوتك ادنى اغارة من جانب الكلب وكذلك الهم والخوف أ اطلق لخيالك العنان بأكمله وامسكه في الحدود المرغوبة هنا ستنفعك تمارين التركيز – عليك ان تحمل معك دائما فكرة الاقدام وحاول ان تمثل دورك بشكل طبيعي تماما ممثلا دورك كما يلعب الممثل دوره، فالطبع الذي تتبناه سيصبح مع الزمن واقعا، وبعد شيء من المران سيغدو طبيعتك الثانية واخيرا فان الطبع المتبنى سيصير طبعك الاصلي).

ان خلاصة هذه الآليات اذا صغناها بعبارة اوضح تكون كما يقول احد علماء النفس كما يلي[2] (ان فكرة توليد حالة نفسية مناسبة عمدا وبصيغة محددة سلفا وزيادة فرص النجاح على هذا النحو هو اساس جميع مصادر الالهام

---

(1) ن م ص96.

(2) تدريب الادراك الحسي الفائق ص62.

والمساعدة الذاتية، ان كل شخص قادر على خلق حالته النفسية الخاصة وطبيعته وعاداته بصورة هادفة من خلال الإيحاءات الذاتية، وبالفعل يستطيع كل فرد ان يبني شخصيته الخاصة ويجعل من نفسه انسانا سعيدا ناجحا، هذا ممكن لكني لا اود ان اقول انه سهل، قد يكون الامر بسيطا من الناحية النظرية، اذ يتعين على المرء اعداد قائمة مفصلة بمزايا الشخصية التي يريد الحصول عليها التي تساعده في الوصول الى هدفه ومنح النفس فيما بعد الإيحاءات الملائمة -فكر الآن بالدعاية- التي تؤثر فيك وانت صاح واستحضر في ذهنك مفعولها، حينما تكرر الرسالة مرات عديدة فستتغلغل في صميم كيانك وبالطريقة نفسها يجب ان يؤدي برنامجك للايحاء الذاتي مفعوله عندما تنفذه روتينيا يوميا اعتياديا ما عليك سوى تكرار ايحاءاتك مرات عديدة بعزم وتصميم حتى تترسخ في آخر الامر في اللاشعور وتصبح جزءا من شخصيتك، وبدلا من تمضية اوقات فراغك في اللهو او اثارة الاعصاب حسب بوسعك الافادة من قسم من ذلك الفراغ كأن تكرر القول في نفسك، انك تريد ان تكون اكثر سعادة، تريد او يجب ان تحظى بسعادة أوفر انت اكثر نشاطا من السابق،قادر على تركيز افضل، قليل النسيان محب للآخرين اكثر حركة وأشد نفاؤلا – او أي شيء آخر ترغب فيه، راقب نفسك يوما بعد يوم، وترقب بعد ظهور الدليل الى ان تبدأ ايحاءاتك بتأدية مفعولها لا تفقد الشجاعة حينما يتم الامر على نحو أبطا مما كنت ترغب،ضع حسابك ان مزيدا من الصبر والمثابرة ضروريان لبلوغ هدف سام كالسيطرة على العقل وهذا ايضا ينبغي لك ان توحي به).

لقد وصلت هذه المسألة عند علماء النفس والباراسيكولوجي الى ان يدعون الإنسان الى اعادة برمجة نفسه وفق ما يختاره لها وكأن الطبيعة النفسية هي زراعة

القيم والسلوكيات المفيدة بعدما وجدوا ان للايحاء هذه القدرة الكبيرة على تحقيق ذلك.

ولاشك ان زرع القيم الفكرية اسهل من العلاج الفسيولوجي الذي يتحقق عن طريق الإيحاء، فالإيحاء افكار معينة تقال لتزرع في اللاشعور قدرة على السلوك اللاحق،فهي مسألة تحدث فكريا وتنفذ نفسيا، أما العلاج فهو مسألة متعلقة بالجسم وهو مادة منظورة له شيء من الاستقلالية عن طبيعة الفكر، فقرب الفكر من النفس هو اكثر من قرب الفكر من الجسد لاحداث التغيير اذ انه لا يستطيع ان يؤثر مباشرة على الجسد الا عبر مروره بالنفس اولا.

ان قدرة الإيحاء عبر التنويم المغناطيسي يستطيع ان يزرع هلوسة سمعية وبصرية ايحائيا مما يضطر الإنسان ليتصرف بضوئها وكأنها حقيقية وهذا ما دعا احد العلماء الى القول[1] (وما يقبله العقل يشعر به الشخص،فان كان في غرفة حارة يمكن ان يوحى اليه بأنه في زمهرير وسوف يشعر انه كذلك فعلا، حتى ان الجسد لن يفرز عرقا وسوف يبدأ بالقشعريرة ويوضح هذا ان ما يعتقد العقل صدقه هو ما يشعر به المرء سواء كان هذا حقا ام غير ذلك، علينا اذن في أي دراسة نجريها على قدرات العقل العليا ان نحاول ابقاء السيطرة الواعية على افكارنا وافعالنا حتى نتاكد اننا في كل وقت نسيرعلى هدى الحقيقة كما نفهمها وسوف تقف لنا ملكة منطقنا الواعي حارسا أمينا) وهذا ما جعل هذا العلم يحذر من خطورة تسليم ميكانيكية العقل الى الآخرين من المنومين المغناطيسيين إذ معنى هذا توظيف هذه الميكانيكية لخدمة اغراض قد تكون اجرامية او لا اخلاقية وهكذا وجدناه يوحي بترويض الإنسان قدرته على التغلب على المخاوف والقلق وردودد افعال هدامة.

---

(1) حواسك الزائدة ص75.

ان هـذه المخـاطر جعلـت بعـض البـاحثين يطرحـون مـسألة برمجـة الـذات بالإيحاءات والاستفادة من قدرات اللاشعور الـتي يعتقـد الباراسيكولوجيون انهـا قدرات هائلة ومفيدة جدا اذا ما وظفت توظيفـا سـليما ويقولـون –)[1] يمكنـك ان تكيف الهامك لكي يعمل لك في أي موقف في حياتك وذلك بأن تغرس في الشعور الإيحاء المناسب وعندما تفعل ذلك فمرور الزمن ليس ذا اهمية لان ملكات حـسك الزائد سوف تعمل حسبما وجهت).

ان الباراسيكولوجيين يعتقـدون ان اللاشـعور يمكـن ان يوظـف في خدمـة الإنـسان ويوكلـون اليـه مهمـات خارقـة ويقولـون[2] (توجـد في كـل فـرد نفـس عليا،شعور اسمى يعرف القدرة الكامنة في ذلك الفرد، ويحـاول احيانـا ان يكـشفها له والهامه للاجتهاد في ابراز ما لديه من فضائل ولكن القليل منا هـو الـذي يـصدق او يؤمن بالحقيقة الدامغة في وجود هذه الومضات الذهنيـة) ونـرى الـبعض يـبرمج نفسه لاعطاء مجال للاشعور للظهور على شكل حلم تحـذيري فـيعلم نفـسه كيـف يحلم احلاما صادقة ومن المعـروف نفـسيا ان اللاشـعور يـتكلم بلغـة الحلـم بحرية مطلقة، وهكذا وجدناهم يستخدمون الإيحاء ذاته في هذا الصدد[3] (لقـد اكتـشفت من ابحاثي وتجاربي الشخصية انني وان لم اسـتطع تفـسير الطريقـة الـتي تعمـل بهـا الاحلام الا انه من الممكن عن طريق الإيحاء اعداد العقل لكي يحلم احلاما صادقة كما يقولون ...ويمكنك اللجـوء الى قـدراتك العليـا اذا اردت التعـود علـى اعـداد عقلك للنوم كل ليلة، ففي لحظة الدخول في النوم تكون انت في طور حـساس مـن ناحية العقل والجسم وتكون كل مستويات الشعور متقاربـة بـسبب وجـود خاصـية

(1) ن م ص107.

(2) ن م ص131.

(3) ن م ص 149-151 بتصرف.

الاستقبال والافكار والمشاعر المستقرة في العقل الشعوري تنتقل مباشرة الى مستويات شعورية اعلى عبر مقاومة صغيرة او معدومة وتكون هذه القدرة الخلاقة الداخلية مستعدة ومنتظرة للامساك باي رغبات او شهوات اومخاوف او كراهية قد تكون ركزت عليها ثم انها تبدأ في النسج عليها ... وحيث ان القدرة الخلاقة هي خادمك المطيع فانها تستقبل افكارك الهدامة وتطبخها بنفس النشاط الذي تعمل به عندما تجسد لك افكارك الطيبة التي تمررها انت عليها) وهكذا يصلون الى القول انه -يمكنك ان تحلم احلاما صادقة في كثير من الاحيان اذا اتبعت طرقا بسيطة معينة تؤدي لتوجيه احلامك-.

ان حيادية العقل وخضوعه للايحاء في اليقظة والنوم تجعل من المخيف تسليم قيادة توجيهه الى منوم مغناطيسي غير صحيح النية كما يوصي الاطباء والعلماء بضرورة التحكم في الإيحاءات الخطرة وخلق درع صياني وقائي ضدها[1] (ان العقل ليس شيئا نلعب به، انه قد يستجيب في الحال لأي وجهة يوحى له بها بدون نظر لكون هذه الوجهة تقود الى نتيجة طيبة او سيئة وكل ما يفعله الإنسان محكوم بشيء اوحت به رغبة او جوع او كراهية او محبة ...الخ مما تكون اثر عدد لانهائي من مختلف التجارب في العادة، والشخص الناجح هو الذي تعلم كيف يتحكم في قابليته للايحاء كيما يستجيب فقط لما هو طيب له ويرفض ما هو رديء).

ان الشخص الذي ينام مرة تنويما مغناطيسيا فانه سيستقبل الإيحاء المغناطيسي بعد ذلك بمجرد ايماءة او كلمة رمزية او اشارة من المنوم المغناطيسي قد تضعه في غيبوبة، ويقال ان هناك 80٪-85٪ من الناس يمكن تنويمهم مغناطيسيا، وهذا يبرز خطورة التنويم والإيحاء الذي يمكن ان يتعرض له كل انسان يسمح بتنويمه مرة

(1) حواسك الزائدة في خدمتك ص203.

واحدة والذي يكون برمجة له بعد استيقاظه حيث ينفذ كل ما يطلبه منه المنوم بدون ان يتذكر انه انما يتحرك بايحاء سابق له،بل لقد ثبت ان هناك قدرة لبعض المنومين على تنويم اشخاص بعيدين عنه باميال والإيحاء لهم باعمال معينة.

اذن فالفكر قوة تتحقق في الخارج اذا ما استطاع الإنسان ان يركزها في تصوراته، وخلاصة القول ان الإنسان[1] (قد اكتشف انه اذا ما استطاع تصور شيء في عقله فان قوة خلاقة عجيبة في شعوره يمكنها في وقت ما ان تبرز هذا الشيء في حياته الخارجية،وعندما قال بيرون ان الافكار اشياء كان ينطق بحقيقة عميقة فإذ تفكر في فكرة انت تقوم بعمل انشائي واذا ألبسنا هذه الفكرة رداء الشعور ونشطناها برغبة قوية لكي تظهر فان الفكرة او الخاطر تبدأ في اتخاذ شكل وتنمو مثل بذرة وتجذب نحوها الظروف والفرص والمصادر وكل الحوادث الضرورية للمساعدة على اخراجها الى ما نسميه عالمنا المادي والمشكلة الوحيدة هي ان الرغبات المتهورة وغير المحكومة يمكنها ان تجلب افكارا خدامة الى حيز الوجود تماما مثل الافكار البناءة وبذا تمطرنا اللعنات بجوار البركات).

حينما نتنقل الى امكانيات اللاشعور هذه نجد ان الإنسان يمكنه ان ينتقل مباشرة الى زرع وغرس الإيحاءات بطريقة مبرمجة حتىانه يستطيع تغيير شخصيته كلها عبر استغلال هذه الآلية والحقيقة، وهكذا تم اتجاه كثير من علماء النفس الى العمل على تغيير الشخصيات وفق ما يريده الإنسان ولما كانت امكانية هذه تتم عبر الإيحاء الذاتي والتنويم الذاتي لذا فان كل شخص بإمكانه ان يستعملها بنفسه بسهولة.

---

(1) ن م ص251.

ان اولى آليات البرمجة الذاتية تقوم على استعمال التوكيدات، فالتوكيدعبارة عن تصريح معلن، فعندما تقول انا عالم نفس فيعني هذا توكيدا او تقول انا لست عالم نفس يعد توكيدا ايضا فالتوكيدات هي حالات للنفس الداخلية واللاشعور والعقل المبرمج تبرمجه التوكيدات فكل شيء نقوله بقناعة وقوة عاطفية يتحقق، ويتطلب اعادة برمجة نفسك الداخلية على توكيد ايجابي خاصة وانك تعودت ولسنوات مضت على توكيد سلبي التكرار وبإصرار، ثم يطالب الإنسان بتدوين توكيده لان كتابة التوكيد يساعد على التركيز في عقل المبرمج ولما كان من المعلوم ان اللاوعي لا يصدر أي اعتراض على ما نعطيه وهو يتقبل كل شيء لذا فأي توكيد يثبت بالتكرار والاصرار وبلا نقاش.

ان المطلوب هو ترديد التوكيدات بقناعة وثقة تامتين، والقوة العاطفية التي يتم توظيفها فيها مهمة بقدر اهمية الكلمات نفسها، وما نفعله هو اعادة برمجة اللاوعي، ولا شك ان التنويم المغناطيسي الذاتي يعطي احسن الفرص للقيام بالبرمجة الخاصة وزرع الافكار في الدماغ حيث ان الاسترخاء العميق يتحقق في هذا التنويم مما يسمح للايحاء بعمله.

ان اعتقاد علماء النفس والباراسيكولوجيين بأن الإنسان هو ما يفكر به تطبع آليات البرمجة الذاتية بطابعها[1] (فنحن غالبا ما نجد لانفسنا ما نخافه او نهابه اذا صنعنا صورة واضحة لشيء نخافه ونعمل على تقوية الصورة من خلال تكرار التصورات للحدث المخيف ومن ثم نملؤه بقوة شعورنا فان ما نخافه سوف يحدث، بمعنى اننا نصنع الكوارث بيدنا، هل تمنيت في يوم ما ان ماتخافه قد يحدث وذلك

(1) تطوير المهارات النفسية ص128.

لكي تزيح قلق الانتظار عنك؟ في هذه الحالة ستسلم النفس الداخلية رسالتك وتحققها لك بأقصى سرعة ممكنة فالغيرة واضحة من سلوكه او سلوكها).

ان المعتقدات الايجابية تخلق نفسية ايجابية كما ان المعتقدات السلبية تخلق نفسية سلبية والمسألة لا تتعلق بصحة المعتقد او عدم صحته وانما بطبيعته الايحائية الايجابية او السلبية، فالمعتقدات الايجابية تمهد للنجاح والمعتقدات السلبية تعيقه.

ان المعتقدات السلبية تشكل عوائق نفسية بين الوعي واللاوعي الخاص بنا اذ تعيق تدفق الطاقة وذلك من شأنه ان يجعل النجاح محدودا او مستحيلا ونحن في معظم الاحيان لا نعي اننا نحمل معتقدا سلبيا او محددا، فخزين العقل اللاواعي او اللاشعور يحتوي كميات كبيرة من المواقف والمعتقدات والافكار حول الواقع، وهذه ليست حقائق ولكن ما نعتقده نحن فيها، وهذا ينعكس على واقعنا، وبذا يمكن القول ان باستطاعتنا خلق تصور لعالم جديد ومعتقد ايجابي لينعكس بالتالي على واقعنا.

ان مجموعة الحقائق النفسية هذه طرحت مسألة اعادة البرمجة النفسية للانسان ويعرفها العلماء بانها[1] (اعادة البرمجة هي تقنية نقوم خلالها باعادة تشكيل نماذج السلوك والافكار ضمن نظام اكثر فائدة، وتكون اعادة البرمجة في افضل حالاتها عندما يكون باستطاعتك تعلم كيفية عرض الاحداث الماضية في حياتك وكأنها شريط سينمائي، اذ تقوم ببساطة بتشغيل شريط الحدث الذي تريد اعادة برمجته في رأسك بعدها تعيد كتابة النص ... والشيء نفسه ينطبق على المعتقدات).

(1) تطوير المهارات النفسية ص163.

ويتحدث العلماء والباحثون عن برمجة المستقبل على ضوء آلية البرمجة هذه ويقولون بان[1] ما نفعله في الحاضر هو الذي يقرر المستقبل، وتكمن المشكلة في برمجة المستقبل في حمل الوعي واللاوعي ضمن نفس النسق من العمل، ولما كانت النفس الواعية – هي التي تتصف بالعقلانية وبالشعور المفكر-اما النفس اللاواعية فهي التي تستقر عندها الاحاسيس ومن الواجب ان تكون النفس الخاصة بالتفكير والاخرى الخاصة بالاحاسيس فانها تؤدي العمل الذي يجعل من تلك الخطط حقيقة –فإذا كان اللاوعي في حالة انسجام مع الخطط عندئذ فانه سيعمل على تجسيد الخطط مثلما رسمتها النفس الواعية، وان كان اللاوعي في حالة اختلاف مع الخطط فانه اما يرفض اداء واجبه او انه يعمل بنشاط ضد تحقيق هدف النفس الواعية، واذا لم تحقق برجمة مستقبلك مثلما كان مخططا لها عندئذ ابحث في اللاوعي عن العقبات التي منعت ذلك،اذ قد يحتاج اعتقادك الى اصلاح،ربما ترغب في وعيك بأن تصبح غنيا لكن تعتقد في اللاوعي انك لا تستحق ان تكون كذلك وليس باستطاعتك الخاصة باللاوعي، وبغية خلق حالة مستقبلية وتحقيقها عليك ان تزرع في اللاوعي او اللاشعور نماذج وتصاميم ترغب انت في الحصول عليها، وهنا يؤدي اللاوعي وظائف بشكل رمزي بدلا من ان يؤديها حرفيا، اذ ان لغته تعتمد الرموز والصور،عليه فعندما تبرمج خطط مستقبلك تخيل مشهدا مستقبليا ترغب فيه وضع نفسك ضمن هذا المشهد.

اذن هكذا يصل العلماء الى خلاصة مركزة تقول[2] (نحن نخلق مستقبلنا في كل لحظة، وبينما نحن نفكر او نشعر نقوم بتوليد حوادث مستقبلية ستبدو انها قادمة

---

(1) ن م ص 183.

(2) تطوير المهارات النفسية ص 190.

الينا من خارج انفسنا، اذان نماذج الشعور التي تتطور ضمنا تؤدي دور الحوافز الخاصة للفعل، فعندما تكون تلك النماذج من تصميم شخص آخر فان ذلك الشخص هو الذي يقودنا، باستطاعتنا تغيير مستقبلنا من الحالة التي قد يكون عليها وذلك من خلال اختبار النماذج الموجودة او من خلال تغييرها او التخلص منها، باستطاعتنا ايضا خلق نماذج جديدة تعطينا اسلوبا حياتيا اكثر اقناعا).

واذا ما سألنا عن كيفية تحقيق الهدف المطلوب في اللاوعي عبر الواقع المادي يجيبنا هؤلاء بالقول –ان مستويات الوعي المختلفة لدينا تعمل ضمن قوانين الكون التي لا نعرف عنها الكثير ولكن يبدو ان هناك علاقة متداخلة بين مستوى الوعي الذي يعمل ووقت حدوثه بالحاجة، اذا كان بالامكان اشباع حاجتنا بشكل افضل عن طريق ادراكنا المنطقي باننا نستشعر برغبة قوية لاستخدام المنطق لتخفيف الحاجة، واذا كان الوعي النفسي يشبع هذه الحاجة بشكل افضل فهذا هو الوعي الذي سنستخدمه اذن،فالحاجة اذن هي التي توفر الدافع، ويبدو ان هناك قوة داخلية كبيرة تعمل على تحقيق حاجاتنا، ان دواخلنا ستجذب ما ينبغي ان نملك لتحقيق الحاجة واستخدام الوعي للمهمة – من كل ما تقدم طرحت مسألة البرمجة العصبية اللغوية كآليات لبرمجة الذات كما يتحدث عنها المعنيون فما هو مضمون هذه البرمجة؟.

البرمجة العصبية اللغوية

لو حاولنا ان نفهم قدرات الإيحاء على غسل الادمغة عبر التنويم المغناطيسي واستخداماته في المستوى السياسي لوجدنا البروفسور لفتون الاختصاصي الشهير في جامعة ييل خير من عرف غسل الدماغ اذ يقول فيه انه[1] (الاسلوب القوي

(1) السحر الاسود ص25.

والاسلوب الذي لا يقاوم ولا تدرك اعماقه وابعاده، والاسلوب السحري الذي يمكن بواسطته تحقيق السيطرة الكاملة والنهائية على العقل البشري).

ولو ربطنا هذا التعريف وهدفه السيطرة على العقل البشري بما اعلنه الدكتور -جورج استابروكز- رئيس دائرة علم النفس في جامعة كولجيت والمعروف عنه بانه يعتبر اقوى اخصائي في علم التنويم المغناطيسي في اعلانه عن انه -يستطيع ان ينوم شخصا دون علمه ودون موافقته وانه يستطيع ان يجعل ذلك الشخص يرتكب جريمة الخيانة العظمى ضد الولايات المتحدة - وحينما استدعته وزارة الحربية في واشنطن في اعقاب كارثة بيرل هاربر بقليل وسألته ماهي الامكانيات التي يمكن ان يستخدمها العدو في التنويم المغناطيسي كسلاح ضد الامريكان كان جوابه[1] (يستطيع العدو ان يدرب مائتي شخص يعملون لحسابه في الولايات المتحدة وان يستغلهم لتشكيل جيش من العملاء الذين يمكن ان يسيطر على عقولهم وان يتحكم بارادتهم عن طريق التنويم المغناطيسي وبالتالي يصبح هذا الجيش الطابور السادس داخل امريكا) لوربطنا هذين التعريفين لوجدنا خطورة هذا الامر بالنسبة للسياسة فهو السحر نفسه.

ان جوهر التنويم المغناطيسي كما نعرف هو الإيحاء ولهذا كان تأثيره اشبه بالسحر منه بالامور السببية والعقلية المنظورة، لقد طور علماء النفس الامريكيون نظرية الترابط الشرطي التي طرحها بافلوف حيث قام العالمان سكنر واواينك باضافات تجريبية على تغيير السلوك والسيطرة عليه عبر مثيرات صناعية وفي هذا يقول سكنر[2] (لا يوجد حد قاطع بين الاستجابة الخرافية والاستجابة غير الخرافية

---

(1) السحر الاسود ص35.

(2) السحر وعلم النفس ص118.

ويزداد الميل للسلوك الخرافي بالضرورة عندما يتأثر المرء اكثر فأكثر بالظروف المنفردة وهناك متدرج يتراوح بين الظروف التي تظهر مرة واحدة في حياة الفرد والظروف التي تلاحظ حتما بالضرورة ولايمكن تقسيم هذا المتدرج تقسيما حديا يعزل بين الخرافة والحقيقة).

ان سكنر في تحليله للسلوك السحري والخرافي يصل الى درجة الاقتناع بان أي سلوك يعزز في تكرار يصبح وسيلة جيدة للسير عليه بشكل شبه حتمي وسواء عرف الشخص ان سلوكه معزز ام لا فهو سيستجيب للدافع الذي قد يكون لاعقلانيا ولهذا يوصف بانه اشبه بالبرنامج المرسوم داخل اللاشعور، فعندما يكون الاشتراط لا شعوريا لافرق بين الحقيقة والخرافة، وهذا ما نراه في سلوك الإنسان عبرايحاء التنويم المغناطيسي وسلوكه المزروع بعد ايقاظه من التنويم ، لقد توصل علم النفس السلوكي في الولايات المتحدة في مجال الضبط والسيطرة على السلوك الى درجة تحدث عنها كارل روجرز من معهد العلوم السلوكية في كاليفورنيا بقوله[1] (نحن نعرف كيف نهيء الظروف او الشروط التي بموجبها يقرر افراد كثيرون احكاما حقيقية مناقضة للبيانات التي تتوفر لهم من خلال احساساتهم) ويضيف – ونحن نعرف كيف نغير آراء الفرد في وجهة معينة نختارها بدون ان يصبح واعيا ابدا بالمثيرات التي غيرت من وجهة نظره - بل انه يصل الى حد القدرة على خلق هلوسات بالمثيرات غير المنظورة – ونحن نعرف كيف نوفر الظروف النفسية التي تخلق هلوسات واضحة وغيرها من ردود الافعال المرضية لدى الشخص السوي في حالة اليقظة –.

(1) علم النفس الإنساني ص516.

ان الدراسات السلوكية وصلت الى حد مكننة السلوك الإنساني فرأينا من يتحدث عن تكنولوجيا السلوك وقد عبر عنه سكنر بقوله -ليكن الإنسان سعيدا متعلما ماهرا حسن السلوك ومنتجا -ويلخص هذه الامكانية المخيفة بقوله[1] (حسنا ما ذا تقول عن تصميم الشخصيات؟ هل ذلك يهمك؟ ضبط المزاج؟ أعطني المواصفات وسوف اعطيك الإنسان، ماذا تقول عن ضبط الدافعية؟ وعن بناء الاهتمامات التي سوف تجعل الناس اكثر انتاجية واكثر نجاحا؟ هل يتراءى لك ذلك على انه خيالي؟ ومع ذلك فان بعض الطرق الفنية ميسور الا ان اكثرها يمكن اجراؤه تجريبيا، فكر بالاحتمالات والامكانيات، دعنا نضبط حيوات اطفالنا ونرى ما الذي نستطيع ان نفعله؟).

لاشك ان هذه الدراسات تعمقت اكثر بعد دخول المؤثرات الكهربائية والعقاقير وغيرها في عملية برمجة السلوك الإنساني حتى وصل الامر الى زراعة الكترودات داخل المخ البشري والسيطرة عليه من بعد لتحديد السلوك الإنساني بعد زراعة برنامج خاص الكترونيا، واذا كانت هذه المعلومات حتى الآن باقية بمستوى العلاجات الطبية والدراسات المخابراتية الا ان التنويم المغناطيسي بقدراته الرهيبة جعلت الإنسان العوبة في يد العلماء والسياسيين[2] (ان عمليات التنويم المغناطيسي الايحائي تستطيع التلاعب بالارادة حيث يستطيع المنوم ان يوحي الى الشخص النائم بان يقوم باعمال في كذا ساعة فنراه ينفذ هذا الإيعاز بعد ذلك وكأنما هو اراده فإذا سألناه عن سبب قيامه بذلك العمل حاول ان يفسر او يبرر

---

(1) علم النفس الإنساني ص523.

(2) السيطرة على الدماغ الكترونيا ص56.

ذلك عقليا او بشعور غامض دفعه لذلك وهذا معناه ان التنويم المغناطيسي يتحكم بمركز الارادة غير المعروف لدى علماء الفسيولوجيا حتى الآن).

وخلاصة كل ما تقدم يمكننا ان نأخذه من –والتر بو آرت–في كتابه المثير – السيطرة على العقل– حيث قال فيه[1] (بعد ان اتقن سادة السحر الاسود استعمال التنويم المغناطيسي والعقاقير المخدرة وفن التحكم بالسلوك الإنساني عن طريق استعمال معطيات العلم الحديث الثورية كالصدمات الكهربائية والصوتية فانهم الآن قطعوا مراحل مدهشة في مجالات السيطرة الكاملة على سلوك الفرد وتصرفاته، والمدهش والرهيب في هذا الوضع هو ماذا لو وضعت هذه الامكانيات الهائلة تحت تصرف اناس هدفهم السيطرة على المجتمعات الحديثة، وتحويل السلوك البشري لخدمة اعراض طبقة معينة من الناس بعيدا عن رقابة القانون والدساتير الإنسانية المتحضرة فأي من المجتمعات ستظهر على وجه الارض؟).

ولاشك ان التنفيذ الفعلي اصبح متاحا الآن عبر محاولة برمجة السلوك الإنساني ذاتيا عبر الإيحاء فيما يسمى بالبرمجة اللغوية العصبية، حيث يستطيع كل انسان ان يبرمج نفسه عبر ايحاءات التنويم الذاتي ليكون ما يريد ان يكونه، فماهي هذه التقنية التي توظف خلاصات كل العلوم السلوكية والتحليل النفسي والتنويم المغناطيسي وغيرها لتحقيق اهدافه؟.

في موقع على الانترنت بعنوان البرمجة اللغوية العصبية نشرت دراسة مفصلة نسبيا عن هذه الآلية والتقنية بمنطق الدفاع الذاتي عن الاستقلالية وبمنطق الدعوة الاسلامية للحد من اخطارها او توظيفها اخلاقيا بشكل مقبول، يتحدث كاتب الدراسة الدكتور ابومعاذ عوض بن عودة –وكان قد نشر هذه الدراسة في ملحق

(1) السحر الاسود ص86.

الرسالة في صحيفة المدينة-عن الجذور الحقيقية للبرمجة اللغوية العصبية، وبعد مقدمة حول نظرة الاسلام الى العلوم يعرف هذه البرمجة بقوله[1] (هذه الفلسفة او التقنية يزعم اصحابها بانها تهتم بالتعامل مع الجهاز العصبي للانسان لانه يتحكم بعدة وظائف في جسمه للقيام بالاداء والفعالية المتطلبة، ويتم ذلك بالتأثير على حواس الإنسان وطرق تفكيره وسلوكه وتصرفاته، وعن طريق التعامل مع هذا الجهاز الحساس يمكن التخاطب معه بآلية معينة لتكييفه على حسب الرغبة من حيث السلوك والتفكير والحواس، وبرمجة دماغه وحسه وذهنه وتصوراته على حسب عوامل الجودة المطلوبة وتجاربه وخبراته ومن هنا جاء مسمى لغة البرمجة العصبية، فالبرمجة هي دراسة تأثير اللغة الشفهية وغير الشفهية على الجهاز العصبي، وتتوقف فعالية هذه التقنية على مدى التواصل والتأثير في الجهاز العصبي، ومن هنا جاءت اهمية التواصل معه ...ويضيف الكاتب..والبرمجة اللغوية العصبية هي عبارة عن خليط من العلوم والفلسفات والاعتقادات وتهدف هذه التقنية لإعادة صياغة الواقع المتصور في ذهن الإنسان من معتقدات ومدارك وتصورات وعادات وقدرات بحيث تصبح في داخل الفرد وذهنه لتنعكس على تصرفاته، وهذه التقنية كما يؤكد اصحابها تستطيع بواسطة طرق وأساليب معينة في زيادة سرعة التعلم والتذكر وتنمية القدرات وتعديل او استبدال السلوك والتصرفات، وهي تحاول اعادة هيكلة التفكير وفهم الآخر او العالم، وتتم هذه العملية من خلال خلق وتعديل انماط سلوكية،وتقليد ومحاكاة الآخرين، وهي ظاهريا تمكن الممارسين من قرأة حركة العين العشوائية والادلة المرئية الاخرى اثناء المحادثة او الاقتراحات لبرمجة سلوك العميل واعادة تشكيل معتقداته الاساسية).

(1) الانترنت – موقع البرمجة اللغوية العصبية.

وبعد ان يعرض الكاتب محاولات تطوير ونمذجة هذه التقنية لدى كل من جون جرندرويتشارد باندلر الذين صاغوها من خلال مفردات التحليل النفسي والتي هي السحر ذاته -كما يقول الكاتب- بعد ذلك يتحدث عن ان السحر التخييلي والكلامي قد طورا من خلال اكتشاف سحر اللغة والمنطق والخيال والاتصال -حيث الف كتابهما- بنية السحر -والذي تحدثا فيه عن الامكانيات العلاجية الخلاقة لبعض الممارسين العلاجيين فيما قد يدعى بالطب البديل، على ان بعض المعنيين بهذه البرمجة واحد مدربيها يقول عنها - ان البرمجة اللغوية العصبية هي اعادة لصياغة اسس السحر وقواعده بصورة علمية، وهي المنطلق لطرق السحر المتقدمة ففيه المنهج الاساسي والمتقدم للسحرة - ويقول آخر عنها - ان البرمجة اللغوية العصبية هي من ادوات العهد الجديد الذي يستعير بوجه عام معتقداته ولاهوته من الديانات الشرقية المتعلقة بنظرية وحدة الوجود وممارساتها من الخوارق الغريبة - ان اللقاء بين السحر وهذه الآلية لا يعدو ان يكون في محاولة تغيير الوعي او التلاعب المتعمد منه، فالسحر يتعلق قبل كل شيء بالعقل وقدرة الواحد على ادارة ادمغة الآخرين ومن هنا كانت الدراسة المتعلقة بعمل العقل والدماغ والسلوك، يقول الدكتور هال -وجدنا صندوق سحري يكمن فيه كل انواع الاشياء الرائعة والمروعة كالساحر مع صندوقه السحري الذي من خلاله وضع وسحب كل ما هو خارق، الصندوق السحري هنا يشير الى الاكاذيب ضمن العقل الإنساني ويتضمن تركيب السحر، فدماغ الإنسان ينتجها ومع هذا فالصندوق السحري يتجاوز الدماغ وتعرض خطوط العقل السحر بإعادة التشكيل التحادثية او الانماط او التأثيرات -.

فالساحر النفسي هنا هو مبرمج لرموز وحالات مختلفة من الوعي، ونموذج المعلومات اساسه يقدم على شكل طاقة تجيب عما يحتاج اليه من المعلومات لعمل

السحر والتأثير وهي قد تكون قوانين مدعوة من الطبيعة او الأوامر المباشرة، وأساسه ايضا يقدم على شكل معلومات ليس لها كتلة او طاقة تشبه الظواهرالكمية وعن طريقها يتمكن الساحر مثلا ان يربط نفسه بوسط كائن حي او أي اداة لخزن ذاكرة أخرى فطلب نموذج المعلومات يعتمد على علم انظمة التحكم الآلي او علم انظمة السيطرة – سيبرناتيك او سيرماجيك– وهذا النموذج لايعتمد على غيبوبة سحرية لإحداث تأثيره.

ولاشك اننا بحثنا ارضية الإيحاء في السحر والتنويم المغناطيسي واللغة والفكر ...الخ ولهذا فلا نحتاج الى تسميات سحرية تتجاوز النظريات العلمية النفسية والفسيولوجية والعصبية وننهي استشهادنا من هذا المقال بالنص الذي نراه معبرا بدقة عن المفهوم الحقيقي للبرمجة اللغوية العصبية وان سماها الآخرون السحر او غيره يقول هذا النص الذي طرحه – فيليب فارر– في كتابه طقوس المستقبل – سحر القرن الحادي والعشرين، طقوس السحر البدائية وكيفية تطور السحر من قبل خمسة آلاف سنة الى ان وصل لهذا العصر، وشرح فيه طقوس السحر الماضي والحاضر والمستقبل الذي وصل اليوم السحرفي تقدمه الى تكامله مع تقنيات البرمجة اللغوية العصبية والذي يعتبر اكتشاف جديد وتقدم علمي لبنية وقواعد السحر وما يقوم عليه بإعادة صياغته علميا ومنهجيا واعتبر سحر البرمجة سحر تطبيقي للتأثير على العقول من خلال طرق مطورة تعتمد على الميتافيزيقية وطرق الارسال للتغيير الذهني والإيحاءات التخيلية والرمزيات والمجازيات وتطابق النمطيات والتنويم المغناطيسي الأريكسوني وخطوط العقل وغيرها من العمليات الرمزية والترنيمات والخطابات اللغوية السحرية المؤثرة على العقل والابدان لدفع التأثير عن قرب وعن بعد –.

الاسلام والإيحاء

حينما نريد الحديث عن الإيحاء في الاسلام فاننا لا نتعرض الى معنى الوحي الالهي فهذا خارج عن الموضوع الإنساني الذي نتحدث عنه،اننا نتحدث عن الطبيعة الإنسانية والنفسية الإنسانية ومدى تقبلها وتعاملها مع الإيحاء من قبل الإنسان نفسه سواء على نفسه او على غيره، فالآليات التي نتعرض لها تفسيرا وتقويما هي آليات تجري من تأثير عقل انسان على عقل انسان آخر أو تأثير عقل انسان على سلوكه، في حين ان الوحي الالهي هو اتصال بين اله وعبد بين رب متعال وعبد مستقبل، وعلى هذا الاساس فان الحديث هنا لا ينصب على النبوة وطبيعتها كما بحثها الفلاسفة المسلمون وانما سينصرف اولا واخيرا على الدماغ الإنساني والعقل الإنساني والنفس البشرية سواء كان يتعامل مع بيئة فردية او اجتماعية، ان معطيات علم النفس والباراسيكولوجي والفسيولوجيا وعلم الاعصاب وكهربائية الدماغ كل ذلك انما ينصب على الإنسان بما هو انسان نفس،عقل، سلوك، اعصاب ...الخ.

ومن جانب آخر فإن الاعتراف بالإيحاء وسلوك سبيله كما أقره علم النفس انما يعني ان الاسلام حينما يستخدم هذه الآليات انما هو دين علمي واقعي وان ممارساته في هذا المجال انما هو بناء على حقائق علمية اصبحت اليوم من مسلمات العلوم المعاصرة بعد أن اشبعها العلماء دراسة، وبالتالي فعندما نقول ان الاسلام استخدم هذه المعطيات العلمية فاننا بنفس الوقت نؤكد على علمية هذا الدين بل واعجازه العلمي الذي سبق به علماء عصرنا الحاضر فاستخدم آليات الإيحاء خير استخدام لصالح هداية الإنسان من الكفر الى الايمان ولتحصين الإنسان المسلم ضد أي ايحاءات مغايرة لمفاهيمه يقصد بها زحزحة الإنسان المؤمن عن عقيدته.

ان الإيحاء آليات نفسية علمية تتعامل مع الطبيعة الإنسانية تعامل التأثير والتأثر سواء كانت مضامين هذا التأثير دينية او ثقافية او اجتماعية او غير ذلك، والاسلام حينما يمارس هذا الإيحاء فلخدمة الإنسان قبل كل شيء وليس في الدين الا مضامين دينية واخلاقية تقود الإنسان الى خير الدنيا والآخرة.

ان القاء نظرة على كيفية حصول الاسلام لدى المسلم ثم ما يتبعها من عبادات قولية وفعلية تجعلنا نفهم حقيقة الإيحاء في الاسلام ودوره الكبير فيه، فأول مسألة يطلبها الاسلام من الكافر ان يقول لا اله الا الله محمد رسول الله وقد رضي الرسول صلى الله عليه وسلم من الكفار ان يقولو ا هذه الكلمة بألسنتهم فقط ولم يبحث عن رصيدها الوجداني او القلبي ولهذا فقد حاول البعض من الكفاران يقولوا هذه الكلمة بألسنتهم دون ان تفعل هذه الكلمة فعلها في سلوكهم اول الامر وهم الذين وصفهم القرآن بالمنافقين، ومع هذا فلم يعاملهم الرسول صلى الله عليه وسلم على انهم كفار ماداموا قد قالوا كلمة الشهادة هذه،كلمة التوحيد،بل انه عليه الصلاة والسلام توجه باللوم الى بعض الصحابة في بعض المعارك حينما قتل احدهم كافرا بعد ان تلفظ بالشهادة امامه وقال له –هلا شققت عن قلبه او هل اطلعت على قلبه، أي انه رضي بالكلمة وحدها في بدء اسلام المسلم، ولاشك ان العلم اليوم يؤكد على ان كل كلمة تقال لابد ان يرافقها انفعال ايجابي او سلبي فالكلمة مشحونة بالمعنى الذي ينعكس على آليات الجسد الانفعالية عبر الدماغ، والذي يعمق هذا المعنى ويرسخه هو تكرار هذه الكلمة وهو مايسميه بعض العلماء- التأكيدات – لذا فان كلمة الشهادة اذا ما قيلت في البدء بدون تصديق فان تكرارها لابد وان يعمق الايمان بها حتى وان كان قائلها بدءا لايشعر نحوها شعورا ايجابيا –ولعلنا نتذكر الحديث الشريف الذي يقول به عليه الصلاة والسلام تعالوا نجدد ايماننا اواسلامنا بقول لا اله الا الله وتكرارها –ولما كان على المسلم ان

يقول هذه الكلمة في كل الممارسات الاسلامية العبادية اللاحقة لشهادته لذا كان لابد ان يتحول هذا القول الى اعتقاد عبر هذه التاكيدات والتكرارات، فقراءة القرآن والصلاة والذكر والدعاء ...الخ كل هذه الآليات الدينية لابد ان تؤكد معاني هذه الشهادة وتزرعها في الوجدان بعمق، وحتى لو كان المنافق الذي يردد هذه الكلمة بلسانه فقط في حين ان قلبه ضدها فانه عبر ممارسات الاسلام الاخرى التي يضطر لفعلها مجاراة لاهل الاسلام لابد ان تغير من طبيعته، نعم ان كلمة الشهادة لاتزرع الايمان في المنافق ولكنها تفتح بابا الى استلام ما يغذي هذه الشهادة بنور الحكمة والدلالة والمعجزة ...الخ فالهداية اولا واخيرا من الله ولكن المقدمات الاولى والخطوة الاولى هي من الإنسان قال تعالى واصفا الايمان بانه نور —وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ماكنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم —وفعلا ومن خلال ممارسة الاسلام لم يبق هناك منافق بعد وضوح الدعوة ونجاح مسيرتها وظهور مصداقيتها على ارض الواقع.

ان قلب المؤمن بين اصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء وانما هذا القلب يزيد ايمانه بتكرار التأكيدات القولية والمارسات الفعلية كما يزيد اكثر في حالة الجوع والصوم وفي حالة تقوية الارادة بالصدقة وغيرها من العبادات.

ان دراسة الآليات الايمانية اللاحقة للشهادة تظهر الإيحاء الذاتي كيف يلعب دوره في زيادة ايمان المؤمن وتحصينه ضد الإيحاءات الخارجية ويخلق له درعا من الثقة بالنفس وبالايمان بالله تجعله قادرا على صد كل محاولات تحويله عن دينه وايمانه، ان القرآن والذكر انما يقومان بعملية زرع الإيحاء في اعماق اللاشعور لدى المؤمن حتى لايبقى له منفذ للسماح للايحاءات الخارجية مهما كانت قوتها، فالمسلم

يبدأ يومه بقراءة القرآن ثم بالذكر ثم بالصلاة التي فيها عبادات قولية وفعلية بل وفيها قوة للايحاء الذاتي أشبه بالتنويم الايحائي حيث تبدأ هذه الإيحاءات سواء عبر الالفاظ او المعاني تأخذ تأثيراتها بشكل انفعالي كبير جدا، واذا ما عرفنا ان الدين الاسلامي انما ينطلق في ممارسته لشعائره من البعد الروحي الاطلاقي الذي يلعب الوحي القرآني فيه دورا كبيرا فان الإيحاء هنا يكون اقوى واعمق، فالإنسان اذا ردد بعض الإيحاءات الاخلاقية الطبيعية في حالة الاسترخاء التنويمي تفعل فعلها في الإنسان فكيف اذا انطلق من كلمات الله القرآنية بما يعنيه هذا من شحنات انفعالية قدسية مزروعة بالرهبة والخوف والامل؟ ان استخدام القرآن لمفردات الهيبة تنزل على اللاشعور الإنساني للمؤمن نزولا مؤثرا عنيفا خاصة وان القرآن انما يقرأ بآليات التجويد وما يتبعه من مد ووقف وحركة وسكون وموسيقى ...ألخ حتى انه يمكن القول ان القدرة الايحائية لكلمات القرآن وآياته وهيبته قدرة لا تضاهيها أي قدرة لاي كلام انساني بشري مهما بلغت بلاغته، ولقد اثبت العلم المعاصر في دراساته للموسيقى القرآنية تأثيرا كبيرا حتى بدون فهم الإنسان للغة العربية ولا حتى يؤمن بان هذا كلام الله، ومع هذا فان الدراسات اثبتت ان نسبة الاطمئنان لدى السامع ترتفع الى اعلى الدرجات فكيف لو فهمه وكيف لو آمن بانه كلام الله تعالى؟.

وهذا ما نراه يفعل فعله في المؤمن الحق حينما يتفاعل مع كل كلمة وحركة وحرف قرآني. ان الهيبة والانصات التي يتطلبها قراءة اوسماع القرآن كاف لخلق ارضية انفعالية ايجابية فكيف اذا كان المؤمن ينصت بكل كيانه وليس بسمعه فقط؟ وهذه حقيقة يقررها القرآن ذاته حيث جاء فيه – وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون –الاعراف 207– بل ان من الآيات ما يشعر بهذه الرهبة القدسية والطمأنينة النفسية الواثقة حيث عبر عنها القرآن بقوله – ولو ان قرآنا

سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى بل لله الامرجميعا افلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا –الرعد 31-أي لوكان هناك قرآنا بهذا الشكل لكان هذا القرآن لاغيره. بل ان الوحي يتحدث عن ثقل تأثير هذا القرآن لو انزل على جبل صلد لأثر به فيقول – لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله –الحشر 21-فكيف وهو ينزل على مشاعروقلب انسان؟ يقول احد الكتاب وهو يصف تفاعل ايمان المؤمن مع كلام القرآن[1] (نجد ان المؤمن يتعرف في ندائه الداخلي على صوت معبوده ويترجم في ثنايا قلبه رسالة السماء الخالدة لخالقه ونجده خلف الفكرة يلمح حقيقة حية ومؤثرة، ويشعر انه مرتبط بهما ارتباطا عضويا، ويستمد منها على الدوام القوة والنور، ويشعر نحوها بأعمق مشاعر التبجيل ممزوجة بأرق مشاعر الجد،هذه الشعلة العاطفية هي التي تحرك ايمانه العقلي وتغذي في الوقت نفسه طاقاته الخلاقة).

ان ثقة الإنسان بالإنسان لابد ان تكون ناقصة قياسا الى ثقة النسان بربه،فإذا كان المنوم المغناطيسي انما يبني ايحاءاته على هذه الثقة التي يريدها من الشخص النائم –المنوم-وبدونها لا يستطيع ان يزرع ايحاءاته بل انه لا يستطيع ان يزرع هذه الإيحاءات بدون ان يسلمه الشخص المنوم مفتاح ارادته ويحجم كل سلوك قد يعترضه عبرايحاءات اعمق، فلاشك ان المؤمن حينما يستمع الى القرآن او يقرأه وهو مؤمن به انما له ثقة اكيدة غير متزعزعة بالله سبحانه وتعالى وهو قائل القرآن، وبالتالي فإن ايحاءات القرآن تزرع في الإنسان زراعة وبثقة لايفعل ضدها أي اعتراض او انتكاس او مشكلة.

(1) بيولوجية الايمان ص65.

ان عمق الإيحاء القرآني في وجدان المسلم هو اعمق من أي ايحاء غيري آخر، ويأتي بعد القرآن احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم التي تصب في نفس الايقاع على وجدان المؤمن الا ان القران لكونه كلام يتردد في جميع الاوقات وعبر الصلوات الخمس وعبر الاذكار بعد الصلوات وقبلها ولكونه كلام يتعبد به لذا يكون له الدور الاول في آليات الإيحاء الديني الاسلامي.

أما اذا ما تحدثنا عن الذكر والاقوال التي تتردد آلاف المرات عبر جلسات الذكر بشكل جماعي او فردي واحيانا قد تكون بشكل ايقاعي وموسيقي خاص فانها ولا شك تفعل في نفسية المؤمن ما لا يفعله الإيحاء في التنويم المغناطيسي في نفس الإنسان ولهذا نجد ان كثيرا من الخوارق الصوفية –ان صح القول- تحدث في جلسات الذكر حيث تظهر القدرات الخارقة للانسان فيها، واذا كان الشيخ له دور القيادة في حلقات الذكر عبر ايحاءاته للمريدين الا ان الإنسان نفسه يمكنه وحده ان يمارس الذكر ويصل الى نتائج خارقة ايضا، كل هذا يساعد على القول بأن آليات الذكر الاسلامي لها ايضا دورها في اطلاق قدرات الإنسان الخارقة وما ذلك الا عبر تركيز الإيحاءات الذاتية والتي تتردد آلاف المرات في الجلسة الواحدة.

ان قدرة الخيال على تغذية العقل والانفعال تأخذ مساحة اكبر حينما يكون الجو الديني والروحي مفتوحا على مصراعيه امام المؤمن الذي ينطلق اساسا من ايمانه وتسليمه بالغيب، وهذا يجعل الخيال يمتد على مساحة كبيرة في لاشعور المؤمن وروحه وهو هنا حقيقة اعتقادية وليس وهما فكريا غامضا لان الذي اخبرعنه هو عالم الغيب والشهادة في قرآنه العظيم،وهو بالتالي يختلف عن أي قدرة انسانية طبيعية تعتمد على عقل الإنسان المحدود والذي لايستطيع ان يمتد الى اعمق من المعقولات النسبية النابعة من الخيال المحدود ذاته.

ان قدرة الخيال الاسلامي الايحائية لاتقف عند حدود، فإذا كان المؤمن يعتقد ان هناك في الجنة مثلا مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر فانه ولاشك يفتح باب الخيال على مصراعيه، ولما كان التصور هو الذي يجسد الخيال في الذهن الإنساني فإن آليات الإيحاء هي التي تساعد على تحويل الخيال الى تصور حيث يصبح مناط الرغبة والارادة الإنسانية للمؤمن.

ان القرآن يتضمن اسلوبه الوعد والوعيد ففي الوعد في الجنة وما فيها من كل السعادات واللذاذات وكل ما حلم ومالم يحلم به الإنسان هذه الصورة الايحائية المعبرعنها قرآنيا بأبلغ اسلوب واعمق بلاغة وأدق لفظ واسمى معنى،هذا الوعد له من الإيحاء الايجابي لخدمة هدف الايمان وهو اليوم الآخر حيث يتحقق كل ذلك، وكذلك نجد في الوعيد في النار وما فيها من انواع العذاب بشكل لم يمر بذهن بشر، هذه الصورة الايحائية التي يعبر القرآن عنها خير تعبير فيها من الإيحاء الكبير الذي يصب في خلق الخوف والرعب من المآل في اليومالآخر.

وهكذا نجد ان الإيحاء الايجابي للفعل والإيحاء السلبي بعدم الفعل في الاسلام يقوم على قاعدة علمية سيكولوجية وباراسيكولوجية وفسيولوجية وعصبية ...الخ ولم تكن قد جاءت كتركيب قولي للأمر والنهي فقط بل جاءت بناء على معرفة دقيقة بالطبيعة الإنسانية وتجاوبها مع معطيات الإيحاءات حتى اننا نجد اسلوب القرآن يتضمن كثيرا من المخاطبات المباشرة يا ايها الناس ويا ايها المؤمنون استعدادا وتحضيرا لاستلامهم هذه الإيحاءات وتنبيها لهم للاستغراق والاستسلام الايجابي عبر هيبة خالق القرآن المعروضة في كلامه وصوره وبلاغته الاعجازية.

آليات الايحاء القرآني

حينما نراجع آداب القراءة القرآنية عند المسلم فإننا نجدها تعبر عن تحضير واستعداد لهذا العمل التعبدي من جهة الدين ولكنها بنفس الوقت تعبر عن آليات إيحائية لهذا العمل ذاته، وبالتالي فإن هذه الآليات والآداب تعكس خصوصية متميزة لقراءة القرآن عند المسلمين مما يسمح لنا بالاستنتاج ان هذه القراءة بهذا الشكل المبني على المعطيات العلمية والسيكولوجية التي لم يتوصل اليها الانسان الا اليوم إنما تعبر عن مدى تفهم الدين الاسلامي للطبيعة الانسانية وسبقه للعلوم في استخدام نتائجها الحديثة منذ اكثر من اربعة عشر قرنا، وهذا يسمح بالاستنتاج اللاحق من ان القرآن لايمكن ان يكون كلاما بشريا وانما هو كلام رب العالمين الذي اكد في مضامينه على حقيقة كونه كتابا معجزا للسابقين واللاحقين حيث قال –سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق – وها نحن اليوم نتبين حقيقة من هذه الحقائق القرآنية...فكيف نفهم هذه الآليات بضوء علوم العصر النفسية والفسيولوجية والعلمية عموما؟

1. النزول الصوتي:

لو حاولنا ان نفهم لماذا أنزل القرآن صوتيا ولم ينزل كتابيا وما يعنيه هذا النزول في احداث وتأثير الآليات الايحائية على وعي الانسان لوجدنا انه مبني على حقائق علمية وسيكولوجية وفسيولوجية .....الخ لأثر الصوت على الوعي ثم أثر الكلمة صوتيا وإيقاعيا على فسلجة الدماغ والقشرة الدماغية كما تحدث عنها علماء اليوم.واذا كان القرآن قد نزل صوتيا فلا يكفي في بحث سببية هذا النزول الصوتي برده الى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان أميا لايعرف القراءة والكتابة فهذا سبب ظاهري فقط، أما السبب الأقوى فان نزوله صوتيا جعل تأثيره الإيحائي

يأخذ مداه من عمق الصوت وإيقاعه على الدماغ كمادة مثل إيقاعه على العقل كمعنى، أي انه استخدم أقوى تاثيرات الايحاء الصوتي والمعنوي، الموسيقى والمضمون، اللغة والفكر ...الخ لإحداث التأثير الايماني عبرها، ويؤيد هذا ما جاء في بحوث العلماء والمؤرخين عن استخدامات الموسيقى في الديانات والحضارات القديمة كلها اضافة الى مكتشفات العلم الحديث.

لقد كان المصريون القدامى كما يقول المؤرخون وكما يذكر هيرودوت[1] يعتقدون ان لألحانهم الدينية اصلا مقدسا ولهذا لم يسمحوا بأي تجديدات ولم يقبلوا أنغاما اجنبية في طقوسهم الدينية وذكر افلاطون ان المصريين نسبوا الحانهم المقدسة الى الربة ايزيس،وتحدثنا حضارة اليونان عن اورفيوس الشاعر ان الحانه كانت تشفي المرض وتبعث التقوى في النفوس عند ادائها للطقوس الدينية واعتبرت وسيلة من وسائل الابتهال الى الآلهة.

وفي العصور الوسطى امتدح أوغسطين غناء التهليلة او التسبيحة وايقاعاتها بوصفها حمدا لله دون كلمات كما ان الكنيسة كانت تنظر الى الموسيقى على انها نوع من الارشاد الديني وكما ان هناك عقيدة واحدة لا تتزعزع يتعين على المسيحية باسرها ان تؤمن بهافكذلك من الواجب ان تكون موسيقى الكنيسة الكاثوليكية واحدة لا تتغير، وقد ثبت علميا التأثير الديني للموسيقى مثل التاثير الشفائي لها حتى تحدث فيتيشينو[2] عن هذا حيث اشار الى ان للموسيقى تأثيرا علاجيا يزيل الكآبة والكدر وانها تستطيع ان تبعث حالة تأملية تزيد المرء قربا من الله، وقد كان

(1) الموسيقى والعلاج الطبي ص101.

(2) الفيلسوف وفن الموسيقى ص143.

لوثر يمزج بين اللاهوت والموسيقى ويقول [1]-لا اتردد في القول انه لا يوجد بعد اللاهوت فن يمكن ان يعد نظيرا للموسيقى فالموسيقى واللاهوت هما وحدهما القادران على اسعاد النفوس القلقة وبث الطمأنينة فيها .... ولهذا السبب مارس الانبياء فن الموسيقى كما لم يمارسوا أي فن آخر، فهم لم يربطوا بين لاهوتهم وبين الهندسة او الحساب او الفلك وانما ربطوه بالموسيقى وعن طريق الموسيقى دعوا الى الحقيقة بالتراتيل والمزامير-.

ان هذه الخلفية التاريخية لعلاقة الدين بالموسيقى انعكست في القرآن الذي سبقها دون دراسة تجريبية علمية بل وظف هذه النتائج مباشرة، واليوم حظيت الدراسات الموسيقية للقرآن وايقاعه وترتيله باهتمام كبير كشف هذه الحقيقة بمنطق العلم المعاصر ليفسر بالتالي الاثر العميق للنزول الصوتي للقرآن وانعكاس قراءته وترتيله وتقطيعه على الصحة النفسية وعلى زيادة الايمان اكثر فأكثر ليؤكد حقيقة قرآنية واعدة وهي ان مصداقية قوله تعالى – سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق –تحققت عبر هذه المفردة البسيطة.

اذن فالآلية الايحائية في النزول الصوتي للقرآن انعكست على قراءته صوتيا ايضا وبالتالي اعطت نتيجة سيكولوجية وايمانية بنفس الوقت، ومن هنا نفهم الجانب الايماني في هذا النزول يقول احد الباحثين فيه[2]- والخلاصة ان نزول القرآن الكريم كان نزولا صوتيا وكان وحيه الى النبي صلى الله عليه وسلم وحيا صوتيا ايضا هكذا شاءت ارادة الله العلية واقتضت حكمته البالغة -.

---

(1) ن م ص158

(2) مجلة الاعجاز العلمي عدد 7 سنة 1421ص51

أما ماهية صوتيات القرآن فيتحدث عنها احد الباحثين بقوله[1] فالصياغة القرآنية سلاسل صوتية متتابعة في قطرات نغمية تتناسق وحداتها وفق منهج خاص مكونة صيغا والفاظا تحتل مواقع معينة منتقاة داخل تشكيلات من الجمل والعبارات، وهذه العناصر الصوتية والصرفية من كلمات وجمل لا يستقل بعضها عن بعض في السياق بل تتألف فيما بينها وتتآزر علاقاتها الايقاعية النغمية والايحائية المعنوية المتبادلة وتنصهر جميعها في بوتقة واحدة، وتتفاعل في نشاط خلاق تركيبي وتصويري معا عليها ويستمد منها خصائصه وسعته وعمقه بحيث يكشف كل عنصر منها عن قيمة العنصر الآخر ويفجر طاقاته ويدعم اهميته -.

ان البعد الحقيقي للإنزال الصوتي للقرآن معبرا عن موسيقى اللغة العربية ذاتها يظهر بشكل بديهي لأي متذوق للإيقاع وقد تحدث احد الباحثين في الاعجاز الموسيقي للقرآن عنها بقوله[2] ان لم تكن من اصحاب الموسيقى فرتل الآية الكريمة ترتيلا قرآنيا مرة ومرة ومرات واملأ فمك بكلماتها وافتح اذنيك لرنينها وسترى انك تنطق بلحن موسيقي يفيض رحمة وينبض جلالا وقوة يهتف بالنفوس الشاردة ان ترجع الى ربها وبالقلوب الضالة ان تفر الى خالقها – بل ان البعض يجد تأثير الايحاء القرآني انما يتحقق – بظواهر الموسيقى الصوتية التي تمتليء بها الفاظ العربية وتقترن بصيغها وتراكيبها -.

ان الحقيقة التي نريد ان نصل اليها هو ان القرآن انما نزل صوتيا ومقطعا بطريقة موسيقية لغوية لهدف احداث الايحاء المطلوب من هذا الكلام على وجدان الانسان، واليوم نجد ان استخدامات الموسيقى في العلاج الطبي مثلا تؤكد هذه

(1) ن م ص51.

(2) وجوه من العجاز الموسيقي في القرآن ص6.

الحقيقة[1] وهكذا اعيدت دراسة تأثير الموسيقى وابداعات الموسيقيين في علاج الانسان، فإذا كان الانسان القديم قد استخدم الموسيقى لطرد الارواح المرضة واستعان بالموسيقى في السحر وفي المعابد وفي المناسبات الحزينة والمفرحة فلابد ان يكون هناك حقيقة ما وراء هذا الصوت المنظم الغامض الذي لم تعرف اسراره الكبيرة الا اليوم، ولعل وصف الموسيقى بانها هبة الهية يقارب نظرية نشوء الطب من اصل الهي ايضا، وهكذا كانت علاقة الموسيقى بالطب عند الانسان القديم علاقة الهية خاصة في إحداث التأثير الانفعالي والشفائي والديني ...الخ.

ان الاثر الفسيولوجي للصوت الموسيقي بحثه علماء عديدون لتوظيفه طبيا وفعلا نجد ان العالم دون كامبل في امريكا يصدر كتابا كبيرا عام 1999يتحدث فيه عن استخدامات العلاج الموسيقي في مستشفيات امريكا اليوم حيث اكد فيه على ان للموسيقى تأثيرا في زيادة القدرة على تحمل متاعب العمل وضغط الحياة وتنشيط الحواس والدورة الدموية والعضلات كذلك تحفيز العمليات الفسيولوجية مثل هضم الطعام وامتصاصه في الجهاز الهضمي والتخلص من المواد الضارة الموجودة في الجسم، كما قدم تجارب ونجاح ممارسات عديدة مثل موسيقى الجنين واستخدام الموسيقى للتخدير والقضاء على الالم وتوسيع الذاكرة والتغلب على القلق وضغط الدم والسكر ...الخ بل وذكر تأثير الصوت الموسيقي حتى على النباتات والحيوانات.

اذن فالموسيقى سواء كانت كصوت بشري ولغة مقطعة تقطيعا خاصا ومرتلة ترتيلا يقدم الموسيقى كخلفية في حين يقدم المعنى الإيماني كواجهة، لها من التأثير

(1) الموسيقى والعلاج الطبي ص8.

الايحائي ما لم يبلغه أي تأثير ايحائي آخر سوى ماكان عبر التنويم المغناطيسي الذي هو مادة التنويم كله.

على ان هذا الاثر الموسيقي للقرآن لم يكن غائبا عن العرب المسلمين فاستخدموه خير استخدام عبر القراءات العديدة والترتيل والتجويد حتى قام علم قائم بذاته حوله هو علم التجويد وقد اشار الغزالي الى ضرورة الترتيل القرآني هذه حتى للأعجمي حيث يقول [1] لان ذلك اقرب الى التوقير والاحترام واشد تأثيرا في القلب من الهذرمة والاستعجال -.

ان الدراسات العلمية اليوم والتي تخص الشفاء بالقرآن وكما يقدمه علماء مسلمون في مستشفيات الولايات المتحدة الامريكية تؤكد هذه الحقيقة فقد[2] توصلت التجارب العلمية الى الاثر الشافي للقرآن الى نسبة 97٪ على شكل تغييرات فسيولوجية لتخفيف درجة التوتر العصبي وقد رد ذلك الى عاملين اللغة العربية سواء كان السامع يفهمها او لا يفهمها والثاني فهم المعنى، ومما ذكره الدكتور احمد القاضي في هذا الصدد وكما نشر على موقع اسلام اون لاين في الانترنت بتاريخ 7/5/ 2001 ان الاستماع الى القرآن له تأثير مباشر في تقليل التوتر وتأثير غير مباشر – وربما مباشر ايضا –في حفز الجهاز المناعي مما يساهم بالتحديد في عملية الشفاء وكان التأثير القرآني قد تحقق بالاستماع الى كلمات القرآن حتى بدون فهم معانيها وقد بينت دراساتنا التالية – يقول القاضي – ان مفاهيم قرآنية معينة ذات تأثير شديد في مساعدة المرضى في التخلص من المشاعر السلبية الظاهرة وكذلك التعامل مع التأثر المناعي السلبي الموجودة بصفة دائمة في الامراض المزمنة

---

(1) احياء علوم الين ج1 ص327.

(2) الاعجاز العلمي في الاسلام ص52.

هذا التأثير الشفائي للقرآن ظاهر بجلاء في تأثيره المحفز للجهاز المناعي ويستخدم بصورة روتينية كجزء من البرنامج مع كل مرضانا يستوي في ذلك المسلمون وغير المسلمين -.

انا نريد ان نستنتج من كل ما تقدم ان القرآن حينما استخدم الصوت مقطعا تقطيعا لغويا على اساس من اللغة العربية ونحوها وبلاغتها عبر آيات محددة مقطعة انما كان يبني تأثيره إيحائيا على هذه الحقيقة العلمية التي ظهرت مصداقيتها اليوم بعد هذه الدراسات التجريبية على التأثير الفيزيائي-الفسيولوجي للكلام على الدماغ – العقل او القلب كما هي لغة القرآن، وهذا ما يفسر لماذا كانت هذه الآلية – النزول الصوتي– تذهب الى هذا الهدف مباشرة مع ان الانسان لم يتوصل الى حقيقتها التأثيرية الا اليوم.

2. هيئة القراءة:

اذا كان النزول الصوتي للقرآن مسألة موضوعية انعكست على الوعي-العقل عبر تأثير الصوت فيزيائيا-فسلجيا الا ان هيئة الدخول في القراءة وآدابها عكس آلية جديدة لتقبل الايحاء القرآني كمسألة ذاتية، وهذه الآداب-الآليات تعكس استعدادا نفسيا من القارىء لاستلام هذه الايحاءات الصوتية والمعنوية وكأنها حالة استرخاء وتلقي للايحاءات كما يتحدث عنها علماء النفس اليوم.

ان من اول هذه الآداب هو طريقة الجلوس حيث يقول الغزالي عنها [1] فالمؤمن قبل ان يبدأ القراءة يجب ان يكون على وضوء وواقعا على هيئة الادب

(1) احياء علوم الدين ج1ص325.

والسكون اما قائما وإما جالسا مستقبل القبلة مطرقا رأسه غير متربع ولا متكيء ولا جالس على هيئة التكبر ويكون جلوسه وحده كجلوسه بين يدي استاذه-

ان هذه الوضعية هي جعل الجسم في حالة استرخاء وتواضع وتمسكن مما يجعله مستعدا لاستلام الايقاع الصوتي -اللغوي للقرآن ولاستلام الايحاء من معاني هذا الايقاع، انه يخلي نفسه من كل شيء الا الاستعداد بالوضوء وطريقة الجلوس ليبدأ بعد ذلك بطرد نوازع النفس والشيطان حيث يبدأ بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ثم يبدأ القراءة بسم الله الرحمن الرحيم لاستحضار البركة والهيبة في هذا التعبد.

3- **الجهر بالصوت والتغني والبكاء:**

من الآداب الأخرى التي يذكرها الغزالي في آداب القراءة والتي هي آليات ايحائية اخرى- هي الجهر بالقراءة والتغني بالترتيل ثم البكاء والتباكي لاستحضار التأثر والتفاعل مع التأثير في هذه القراءة، ويذكر الغزالي هذا الادب ويعرفه -أي الجهر بالقراءة- بانه مراعاة لتقطيع الصوت بالحروف ويذكر من فوائده انه -يوقظ قلب القاريء ويجمع همه الى الفكر فيه ويصرف اليه سمعه ولانه يطرد النوم في رفع الصوت ولأنه يزيد في نشاطه للقراءة ويقلل من كسله، ونحن نفهم هذا اليوم ان القاريء يملأ كيانه كله بضرورات الجهر من تنفس خاص يحرك الجوانب الانفعالية للجسد مترافقا مع المعاني، وكلما زاد تحسين الصوت الجهري بالقراءة انتظم الجسم فسيولوجيا مع هذه المعطيات متفاعلا معها، فاذا ما عرفنا ان هذا التحسين والتنغيم زيادة في ايقاع الموسيقى على الوجدان ومن ثم زيادة فعاليات الحركات والسكنات وحروف المد والوقف ومن ثم امتداح النبي صلى الله عليه وسلم قراءة ابي موسى الاشعري وتشبيهها له بانه اوتي مزمارا من مزامير آل

داوود ومن ثم قوله ومدحه لمن يتغنى بالقرآن –ليس منا من لم يتغن بالقرآن- كل هذه الآليات تجعل الانفعال بالقراءة مشتركا بين المعنى واللفظ بين الجسد والنفس، أما حينما نذكر مسألة الحزن والتحازن والبكاء والتباكي التي وردت فيها عدة احاديث عند القراءة مثل قوله عليه الصلاة والسلام –ان القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا –الحلية- وكذلك قوله في البكاء والتباكي- حينما نذكر هذه الآلية –الادب- فإننا لاشك سنعرف مدى التأثير الايحائي الكبير لهذا الاستعداد النفسي، ومعروف ان الايحاء يفعل فعله في حالات الشعور بالضعف اكثر وكذلك الحزن والبكاء مع ايقاعات الالم والعذاب تجعل الانسان قابلا للتأثير الايحائي اكثر فأكثر ويصفها الغزالي بقوله –ووجه استحضار الحزن ان يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد والعهود وتقصيره في أوامره وزواجره فيحزن لا محالة ويبكي فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر ارباب القلوب الصافية فليبك على فقد الحزن والبكاء فان ذلك من اعظم المصائب –.

4. الحفظ وكثرة القراءة:

لاشك ان المسلمين هم اكثر شعوب العالم حفظا لدينهم في صدورهم حيث ان نزول القرآن صوتيا على امة امية فرض عليها في تداول نصوص دينها وكتاب ربها ان تحفظه في الصدور، ولما كانت الصلاة نفسها لا تقوم الا بقراءة القرآن فقد ساعد كل هذا على زيادة قوة ارادة الحفظ لدى المسلمين، فإذا اضفنا لكل هذا وجود قدرة طبيعية للحفظ لدى عرب الجاهلية من خلال قدرتهم على حفظ الشعر ونقله وترديده كل هذا زاد من تحقق هذه النتيجة، كما ان مما عمق هذا المعنى لدى المتأخرين من الذين عرفوا الكتابة والقراءة وتداولوها هي ما وضع من الأجر لقارىء القرآن كثيرا وهكذا وجدنا المتقدمون يحفظون القرآن لعدم وجود

قراءة وكتابة ثم استمرت هذه الحالة من الحفظ لدى المتأخرين سعيا وراء الاجر الجزي لقاريء القرآن بكثرة، فقد ورد في الحديث الشريف ما يعزز هذا الحفظ والقراءة مثل قوله عليه الصلاة والسلام -ان من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا اقول الم حرف ولكن الف حرف ولام حرف وميم حرف -الترمذي- وقوله - يقال لقاريء القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرؤها - الترمذي- وكذلك نجد في سماع القرآن احاديث منها قوله عليه الصلاة والسلام - من استمع الى آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة وفي الخبر كتبت له عشر حسنات .

ان الدليل على المطالبة بكثرة القراءة جعلت بعض الصحابة يختم القرآن في اليوم والليلة مرة ومرتين وثلاث مما جعل النبي صلى الله عليه وسلم يقلل من كثرتها فيقول -من قرأ القرآن في اقل من ثلاث لم يفقهه-الترمذي-.

ان كل هذه الآليات من حفظ وسماع وكثرة ترديد القرآن وترتيله انما تصب في احداث الآليات الايمانية المطلوبة على العقل والدماغ والقلب وهي بمنطق علم النفس تأكيدات ايجابية للايحاء الذاتي وحتى البرمجة العصبية اللغوية.

5. **فواتح السور:**

حينما وجد كفار قريش ان من يستمع القرآن يتأثر بإيحاءاته كثيرا وحتى من سماعه لمرة واحدة مما يجعله يؤمن به، ذهبوا الى اللغو حينما ينزل للتغطية على تأثيره وبعد ذلك ذهبوا الى منع أصحابهم من سماعه بدعاء انه سحر وكل من يسمعه يسحر به فيؤمن، فكان ان لجأ القرآن الى اثارة انتباه الناس والمشركين غير الراغبين بالسماع باستخدام الحروف المقطعة في بداية بعض السور حيث كان المشركون ينصتون بدافع الغرابة والدهشة فإذا بالقرآن يصدمهم بالآيات تباعا

فيسلم منهم من يسلم، والدليل على هذا المعنى لهذه الحروف المقطعة ما ذكره المفسرون ومن هؤلاء من قال فيها اما الحروف المجهولة التي انزلها الله تعالى في اوائل السور فسبب ذلك من اجل لغو العرب عند نزول القرآن فانزلها سبحانه منه حتى تتوفر دواعيهم لما انزل الله اذا سمعوا مثل هذا الذي ما عهدوه،والنفوس من طبعها ان تميل الى كل امر غريب غير معتاد فينصتون عن اللغو ويقبلون عليها ويصغون اليها فيحصل المقصود فيما يسمعونه مما يأتي بعد هذه الحروف النازلة من عند الله تعالى، وتتوفر دواعيهم للنظر في الامر المناسب بين حروف الهجاء التي جاء بها مقطعة وبين ما يجاورها من الكلم وابهم الامر عليهم من عدم اطلاعهم عليها فرد الله بذلك جزءا من عنادهم ولغوهم كان يظهر منهم،فذاك رحمة للمؤمنين وحكمة منه سبحانه).

6. القراءة في الصلاة والصوم:

ان الايحاء كما هو معلوم قد يترافق مع بعض الوضعيات الانسانية اكثر مما هو في غيرها فحينما كان الكاهن-الطبيب-الساحر-في الشعوب القديمة يمارس تأثيره الايحائي عبر ممارسات غريبة ومعاناة للمريض المطلوب شفاؤه وممارسة نوع من الجوع عليه ...الخ فانما كان لاستعداد الانسان طبيعيا الى تقبل الايحاء اكثر في حالات معينة من المعاناة الجسدية ونجد هذا في ممارسة التعذيب قبل الايحاء لدى اجهزة الامن والمخابرات، ولما كانت الصلاة من التكاليف -كما وصفها العلماء المسلمون- لذا فان فيها نوع من التعب الجسدي وكذلك الحال في الصوم الذي يضعف الجسد مما يجعله قابلا جيدا للتأثر بالايحاء كل ذلك جعل هذه الآلية الايحائية تعبر عن معرفة حقيقية بطبيعة هذا التأثير الايحائي فيها مما جعل الاسلام يوظفها توظيفا سليما فمن احب العبادات الى الله في شهر رمضان هي قراءة القرآن

فيه فإذا اضفنا لها الصلاة والتراويح وقيام الليل امكن الحديث عن ان الانسان يكون قابلا جيدا للتأثير الايحائي للقرآن.

ان جميع هذه الآداب الظاهرة للتلاوة القرآنية انما هي آليات ايحائية لحسن تأثير القرآن في نفس المؤمن، فاذا اضفنا اليها الآداب الباطنة والتي هي كما يذكرها الغزالي التعظيم وحضور القلب ثم التدبر ثم التفهم ثم التخلي عن موانع الفهم ثم التخصيص ثم التأثر ثم الترقي ثم التبري فإننا سنحصل على قدرة كبيرة للتأثير الايحائي للقرآن.

كل هذه كانت تتداخل في وعي الانسان المؤمن وهو يقرأ القرآن او يسمعه وهو معتقد به اعتقادا لا لبس فيه انما هو يسمع كلام الله ربه عبر هذه الالفاظ والحروف والايقاعات، ومن هنا كانت هذه الآليات الايحائية لها التأثير الكبير على المؤمن حتى وجدنا من يسمع آية وهو في حالة معصية يتوب عنها وآخر يسمع آية واحدة تطابق حاله في وصفها يغشى عليه وآخر يسمع آية فيها من العذاب كذا وكذا يموت لساعته، وكل هذا يعكس هذه القدرة الايحائية الكبيرة والتي لانجد لها مثيلا في أي دين آخر

نماذج من قوة الإيحاء القرآني

لو اردنا ان نحدد او نعد ماجاء به القرآن من قوة ايحاء فاننا ولاشك سنعجز عن الحد والعد ولكننا سنأخذ بعض النماذج التي وقعت في الاسلام علما ان مجرد الموسيقى القرآنية كان بها قوة ايحاء يعترف بها الطب اليوم حتى بالنسبة لغير المسلمين.

اسلام الطفيل بن عمرو الدوسي:

كان الطفيل[1] (رجلا شريفا شاعرا لبيبا قدم الى مكة حيث لقيه رجال من قريش فقالو له: يا طفيل انك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين اظهرنا قد اعضل بنا،فرق جماعتنا وانما قوله كالسحرة يفرق بين المرء وبين ابيه وبين الرجل وبين اخيه وبين الرجل وزوجته وانما نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا فلا تكلمه ولاتسمع منه: قال فوالله مازالوا بي حتى اجمعت على ان لا اسمع منه شيئا ولا اكلمه حتى حشوت اذني حين غدوت الى المسجد كرسفا-أي قطنا- خوفا من ان يبلغني من قوله وانا لا اريد ان اسمعه،قال فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة، قال فقمت قريبا منه فأبى الله الا ان يسمعني بعض قوله قال فسمعت كلاما حسنا قال فقلت في نفسي واثكل امي اني لرجل لبيب شاعر مايخفى علي الحسن من القبيح فما يمنعني ان اسمع من هذا الرجل ما يقول فان كان الذي يأتي به حسنا قبلته وان كان قبيحا تركته -فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته فاتبعته حتى اذا دخل بيته دخلت عليه فقلت:يامحمد ان قومك قالوا لي كذا وكذا الذي قالوا لي فوالله ما

(1) مختصر حياة الصحابة ص109.

برحوا يخوفونني امرك حتى شددت اذني بكرسف لئلا اسمع قولك ثم ابى الله الا ان يسمعنيه فسمعت قولا حسنا فاعرض علي امرك فعرض علي الاسلام وتلا علي القرآن قال فوالله ما سمعت قولا قط احسن ولا امرا اعدل منه قال فاسلمت وشهدت شهادة الحق).

ان هذه الحادثة جاءت لتبين قدرة وقوة الإيحاء القرآني على رجل قد اعد ليقف ضده فاذا هو ينقلب في ساعة الى مؤمن به بمجرد سماعه للقرآن وما جاء به من امر وعدل، ان الطفيل ماجاء ليؤمن فيقال انه كان له استعداد لقبول الإيحاء القرآني بل بالعكس انما جاء وهو متحفظ على السماع حتى حشا اذنيه قطنا فلما سمع شيء من القرآن عرضا وجدناه ينقلب الى مؤمن وأي مؤمن.

اسلام سعد ابن معاذ واسيد بن لبحضير:

وهذا نموذج ثان لقوة الإيحاء القرآني فعندما[1] ذهب مصعب بن عمير رضي الله عنه الى المدينة مع اسعد بن زرارة وهو ابن خالة سعد بن معاذ دخل بستانا وجلس واجتمع الناس له هناك وكان بين سعد وابن خالته اسعد شيء فلما سمع بهما سعد بن معاذ وهو سيد قومه وكان مشركا قال سعد لأسيد:لا ابا لك انطلق الى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وانههما ان يأتيا دارينا،فإنه لولا اسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك،هو ابن خالتي ولا اجد عليه مقدما، قال فأخذ اسيد بن الحضير حربته ثم اقبل عليهما فلما رآه اسعد بن زرارة قال لمصعب:هذا سيد قومه وقد جاءك فاصدق الله فيه قال مصعب ان يجلس اكلمه،قال فوقف عليهما متشتما فقال: ما جاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلانا ان كانت لكما بأنفسكما حاجة، فقال له مصعب أوتجلس فتسمع

(1) مختصر حياة الصحابة ص97-98.

فإن رضيت أمرا قبلته وإن كرهته كف عنك ما تكره، قال أنصفت قال ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن فقالا فيما يذكر عنهما: والله لعرفنا في وجهه الاسلام قبل ان يتكلم في اشراقه وتسهله ثم قال ما احسن هذا واجمله كيف تصنعون اذا اردتم ان تدخلوا في هذا الدين؟ قالا له تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي، فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين ثم قال لهما: ان ورائي رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه احد من قومه سأرسله اليكما الآن ثم اخذ حربته وانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم فلما نظر اليه سعد بن معاذ مقبلا قال احلف بالله لقد جاءكم اسيد بغير الوجه الذي ذهب من عندكم فلما وقف على النادي قال له سعد مافعلت؟ قال كلمت الرجلين فوالله مارأيت بهما بأسا وقد نهيتهما فقالا نفعل ما احببت وقد حدثت ان بني حارثة خرجوا الى اسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك انهم عرفوا انه ابن خالتك ليحقروك، قال فقام سعد بن معاذ مغضبا مبادرا تخوفا للذي ذكر له من بني حارثة واخذ الحربة في يده ثم قال: والله ما اراك اغنيت شيئا ثم خرج اليهما سعد فلما رآهما مطمئنين عرف ان اسيدا انما اراد ان يسمع منهما فوقف متشتما ثم قال لاسعد بن زرارة والله ياابا امامة والله لولا ما بيني وبينك من القرابة مارمت هذا مني أتغشانا في دارنا بما نكره؟قال وقد قال اسعد لمصعب: جاءك والله سيد من ورائه قومه ان يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان قال فقال له مصعب أوتقعد فتسمع فإن رضيت امرا رغبت فيه قبلته وان كرهته عزلنا عنك ما تكره قال سعد أنصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الاسلام وقرأ عليه القرآن، وذكر انه قرأ عليه اول الزخرف قال فعرفنا والله في وجهه الاسلام قبل ان يتكلم في اشراقه وتسهله ثم قال لهما:كيف تصنعون اذا انتم اسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قال تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم

تصلي ركعتين،قال فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق ثـم ركـع ركعـتين ثم اخذ حربته فاقبل عائدا الى نادي قومه ومعـه اسيد بـن الحـضير فلمـا رآه قومـه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عنـدكم فلما وقف عليهم قال:يابني عبد الاشهل كيف تعلمون امـري فـيكم؟ قـالوا سـيدنا وافضلنا رأيا وأيمنتا نقيبة قال فان كلام رجالكم ونساءكم علي حـرام حتـى تؤمنـوا بالله ورسوله قال فوالله ما امسى في دار بني الاشهل رجـل ولا امـرأة الا مـسلما او مسلمة

وهذا نموذج آخر لقوة الإيحاء القرآني فمهما كانت حجة مـصعب بـن عمـير في المنطق والجدال ما كان بامكانه اقناع رجل غاضب سيد قومه يحمل حربته ليطرده من ارضه، ولكن قراءة القرآن جعلت الرجل الغـضوب هـو وسـلاحه ينقـاد لأمـر الإيحاء الديني انقيادا سليما

ولو حاولنا ان نـذكر نمـاذج عديـدة مـن وقـع الإيحـاء القرآنـي علـى وعـي المشركين لوجدنا مساحة كبيرة لذلك الم نعلم ان عمر بـن الخطـاب رضـي الله عنـه خرج ليقتل النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا سمـع القـرآن مـن زوج اختـه لان وآمن وهو المعروف عنه جبارا في الجاهلية؟ الم نقرأ عن الثلاثة من كبار كفار قـريش كانوا يأتون ليستمعوا للقرآن خلسة دون ان يعرف بعضهم ببعض حتى اذا تعـارفوا ندموا وتعاهدوا ان لا يعودوا فإذا هم يعودون لها اكثر من مرة؟

أما اعتبـار قـراءة القـرآن عبـادة وختمـه والـدعوة لتعلمـه وحفظـه وتجويـده وتحسينه فكل ذلك لما يحدثه القرآن في لاوعي المؤمن من ايقـاع وتـأثير وشـد علـى عمل الحسنات والابتعاد عن السيئات،ان القرآن يأمر وينهـى وهـذا الامـر والنهـي لايتعلق فقط بالوعي الذي قد تغلبه احيانا اغـراءات الحيـاة وثقـل التكـاليف وانمـا

يتعلق ايضا باللاوعي او اللاشعور الذي يصبح قاعدة الامر والنهي فما دام الاسلام يقوم على الايمان والتسليم بالحقائق القرآنية فان المسلم يسلم نفسه لآليات واوامر ونواهي القرآن وهي مرتسمة محفورة في اللاشعور عبركثرة القراءة والحفظ والتجويد ...الخ.

ان الخشوع الذي يصاحب العبادة والذي يهيء لاستلام وتنفيذ اركان الاسلام بشكل آلي يصاحب قراءة القرآن مع التقطيع الصوتي الجود ومع المعاني المنذرة بالعذاب ولهذا وجدنا ان قراءة القرآن تهيء الإنسان لاستلام اوامر الله بشكل سهل جدا وكأنما الخشوع يعمل عمل الاسترخاء الذي يطالب به الاطباء مرضاهم قبل اجراء العلاج النفسي عليهم لان الاسترخاء يجعل الإنسان مستسلما كليا للاوامر والنواهي والخشوع هو من هذا الاسترخاء والاستعداد.

ان الرسول صلى الله عليه وسلم وقد نزل عليه القرآن يتسمع احيانا الى قراء القرآن ويتأثر به وتفيض عيناه من الدموع للتجويد الحسن الذي كان يقرأ به ابو موسى الاشعري حتى وصفه بانه أوتي مزمارا من مزامير آل داود، وقد كان المسلمون الاوائل ولازالوا حينما يسمعون ذكر الله والقرآن تخشع قلوبهم وتقشعر ابدانهم لما سمعوا من الحق ويحق لهم ذلك فالمغني والموسيقي المعاصر يشد جسمه شدا وهو يتحدث بلغة انسانية تخاطب وجدانا انسانيا مع موسيقى وتقطيع معين فكيف بالمؤمن وهو يسمع كلام الله ووحيه عبر هذه الاساليب من الترتيل والتجويد والموسيقى الايحائية؟ الا يحق للبعض ان يقع في الغشية والغيبوبة من ذلك وقد حصل هذا مع الكثيرين؟.

الفضيل بن عياض والإيحاء القرآني

ان مراجعة سيرة وحياة الفضيل بن عياض وكيف تاب عن حياة اللصوصية وقطع الطريق ليعود من العلماء والزاهدين والخائفين الذين سبقوا والتحقوا مع ركب الصحابة والتابعين في هذا الامر يجعلنا نرى قوة الإيحاء القرآني لدى المؤمن حتى وهو في حالة عصيانه تقول هذه السيرة كما لخصها البوطي عن مصادرها الاصلية ان الفضيل الذي ولد عام 105هجرية[1] امضى الشطر الاول من شبابه فاتكا بطاشا يقطع الطرق ويستلب اموال الناس وكان يتربص بالسابلة والمسافرين في مفازة ما بين أبيورد ومرو حتى عرفت تلك المفازة باسمه وغدت منطقة رعب في نفوس المجتازين ورجال القوافل فكانوا يتواصون بالابتعاد عن ذلك الطريق كي لا يقعوا في كمائنه وكان الفضيل يعمد الى الاموال التي ينهبها من عمله فينفقها على متعه واهوائه ويبددها في سبيل ملاذه وفي عمرة حياته التائهة هذه لقي جارية فاحبها وتعلق بها فكان يختلف اليها كلما امكنته الفرصة ....مضى ذات ليلة يفكر وبدلا من ان يفكر كعادته في رسم خطة للايقاع بقافلة للحصول على امواله كان يفكر في الخطة التي ينبغي ان يهتدي اليها للقاء محبوبته واهتدى اخيرا الى ان عليه ان ينتظر الى الهزيع الاخير من الليل حيث يكون النوم قد حجب اعين الاهل والرقباء ثم يمضي الى دار حبيبته فيتسور اليها الجدار دون ضجيج سؤال او قرع للابواب وذلك في ساعة محددة تنتظره فيها .....لم يتردد الفضيل في غمرة مشاعره هذه في البحث عن اقرب متناول يتعلق به من جدران تلك الدار وسرعان ما عثر عليه فتعلق به ثم تجاوزه متسلقا الى اعلى الجدار، وقبل ان يهوي منه ساقطا في داخل الدار وقف يلقي السمع الى أي صوت يمكن ان يبلغه اذنه بحثا عن مزيد من

(1) شخصيات استوقفتني ص22-23.

الطمأنينة الى انه قد جاء في الوقت المناسب وبينما هو كذلك اذ سمع قارئا يرتل في جوف الليل قول الله عز وجل – ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قوبهم –الحديد 57– ...فما ان طرقت سمعه هذه الكلمات الربانية الفياضة بالحب والعتب الرقيق حتى سرت منها شعلة الى قلبه الذي صقله الحب وهذبه الوجد فأضاء مصباحه المنطفيء وأوقد ناره الخامدة واذا هو يصيح بصوت مجلجل اخترق سكون الليل من حوله: بلى يارب..لقد آن، وتحول في اللحظة ذاتها فسقط في المكان الذي تسلق منه وأسرع كالملذوع لايلوي على شيء ومضى يردد: بلى يارب لقد آن.

هذه الآية فعلت هذا برجل عاص فاعادته الى الايمان والاسلام وقد طبعته حتى بسيرته بعد توبته وهذا ما رواه عنه المؤرخون فوصفه ابراهيم ابن الاشعث قائلا –ما رأيت احدا كان الله اعظم في صدره من الفضيل بن عياض كان اذا ذكر الله عنده او سمع القرآن ظهر به من الخوف والحزن وفاضت عيناه وبكى حتى يرحمه من بحضرته وكان دائم الحزن شديد الفكر –ويصف البعض قراءته للقرآن بقوله –كانت قراءته للقرآن حزينة جذابة مترسلة كأنه يخاطب انسان وكان اذا مر بآية فيها ذكر الجنة او النار راح يرددها ويسأل الله الجنة ويستعيذ به من النار وقالوا وكثيرا ما كان يغلق الباب على نفسه فلا يأذن لاحد بالدخول عليه الا ان سمع قرآنا يتلى فعندئذ يخرج ليكون على مقربة ممن يتلو،ثم يركن اليه مصغيا في نشوة بالغة وخشوع...وكثيرا ما كان يفتح له باب كبير من الحزن من خلال كلمة واحدة يقف عندها في كتاب الله عز وجل فتزجه في هم واصب وربما اطبق عليه الهم فغشي عليه الى حين.

لقد حدث عن الفضيل الشافعي وغيره وكان ابن المبارك يعظمه ويقول عنه -ما بقي على ظهر الارض عندي افضل من الفضيل بن عياض-

ولو تابعنا سيرته لرأينا اكثر من ذلك حيث روي ان ابنه علي كان يخشى ويخاف حتى قيل انه مات من آية سمعها من تال يتلو القرآن حيث يروى انه سمع قارئا يقرأ -ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين -الانعام27- ولعل الروايات العديدة عن تأثير بعض آيات القرآن وخاصة الآية - ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبه لذكر الله ومانزل من الحق -الحديد57 -لها تأثير كبير على العاصين اكثر من غيرها حتى قال عنها البوطي[1] اقول لله هذه الآية من كتاب الله عز وجل كم أيقظت سادرين ونبهت غافلين وارشدت تائهين عرفنا منهم قلة ولعل الكثرة الكبرى تلك التي لم نسمع عنها ولم نحط بها علما-ويورد الرواية التي وردت عن توبة ابن المبارك في روايته عن نفسه حيث يروي ان اول عهده بالانصراف عن ملهيات الدنيا وبالاقبال على الله: كنت يوما في بستان وانا شاب مع جماعة من أترابي وذلك في الصيف وقد نضجت الفواكه فأكلنا وشربنا وكنت مولعا بالعزف على العود فنمت بعض الليل ثم استيقظت واذا غصن يتحرك عند رأسي فاستهواني الحال وأخذت العود لأعزف عليه فإذا العود ينطق قائلا - ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق - الحديد57- فضربت بالعود الارض فكسرته وصرفت ما عندي من

(1) ن م ص51.

جميع الامور التي كنت عليها مما يشغل عن الله وجاء التوفيق من عند الله عز وجل – ولو اردنا الاستشهاد اكثر فان الاحوال الروحية لدى علماء وزهاد المسلمين لاتعد ولكن نكتفي بهذه النماذج للانتقال الى اطباء المسلمين واستخدامهم الإيحاء في العلاج.

نماذج من العلاج بالإيحاء لدى اطباء الاسلام

لاشك ان العلاج بالإيحاء ليس هو وليد اليوم كما راينا بل هو موجود منذ بدء العلاج لدى الإنسان القديم كما هو عند السحرة الاطباء وقد كان لاطباء المسلمين اشارات واضحة للعلاج بالبلاسيبو او كما يسمونه العلاج بالوهم وخاصة للامراض النفسية فمما ذكره بعض الاطباء عن هذا العلاج الذي يسميه العلاج بالوهم او الحيلة ما جاء في كتاب ادب الطبيب لاسحق بن علي الرهاوي فهو بعد ان يصف الشعبذات والحيل التي يستخدمها مدعوا الطب ليذمهم ويوصي بالابتعاد عنهم يشير الى ان نفس طرقهم يستخدمها الاطباء الحقيقيين ويقول[1] (ولست اقول ان جميع الدستكارية -كلمة اعجمية تعني الحاذق بعمل اليد- يستعملون ما ذكرته بغير علم وبطريق المحال لكني اشرت الى المموهين فأما حذاقهم الفره اصحاب البطش بالاعمال الصحيحة فانهم ان استعملوا حينا شيئا مما ذكرته لم يستعملوه على طريق الحرفة لكن بحيلة طبية نافعة يكون بها برء المريض من طريق الوهم كالذي فعله جالينوس من هذه الاعمال بعينها فكان بها برء المريض، وذلك ان جالينوس حكى ان انسانا توهم انه بلع حية فعولج بكل دواء فلم يفلح فلما وقف جالينوس على خبره سأله هل تعرف لون تلك الحية فقال هو اللون الفلاني ومقدارها المقدار الفلاني فأمر سرا من العليل بمن صاد له حية بتلك الصورة واخفاها بلطف الحيلة وسقى المريض دواء قذفه وشد عينيه حين اخذ يقذف وسرح الحية المذكورة مع القذف وأمر من حضروا ان تعلو أصواتهم بالتباشير بخروج الحية فحين فتحن عيني المريض قال هذه الحية التي ابتلعتها وقد وجدت الراحة فبرأ برءا تاما من توهمه وقد جرى له ولغيره امثال ذلك كثير من

---

(1) ادب الطبيب ص 190.

اصحاب المالنخوليا وغيرهم ممن تداخلهم الرعب والفزع من اشياء فذابت ابدانهم واصفرت الوانهم فلم يقررفيهم علامة تدل على مرض فلما علم من امرهم ان ذلك لفزع عملت الحيلة لادخال السرور على قلوبهم فبرأوا وذلك لايكون بصنف واحد في التدبير والحيلة لانه منه ما يكون من جهة الاخبار المسموعة والكتب التي ترد منه ومن جهة المنظورات وكذلك من باقي الحواس فيحتاج ان يكون الطبيب لذلك ذكيا لاستخراج السبب ومقابلته بالحيلة كالذي استخرجه جالينوس).

ان مقارنة ما يدعوه الرهاوي بالشعبذة والحيل الطبية التي يمارسها غير الاختصاصي الطبي ومع هذا يتحقق بها شفاء والآليات التي يمارسها السحرة القدامى وغرابتها لوجدنا ان هناك لقاء بينهما بل ان بعض هذه الممارسات الخادعة نجد شبيهها اليوم بما يسميه احد الكتاب بانه جراحة اللاشيء او جراحة العدم الذي سبق ان تحدثنا عنه فالذي توصل اليه الطب الامريكي اليوم سبقه به الساحر-الطبيب لدى الإنسان القديم كما سبقه به الطبيب العربي المسلم بقرون عديدة، ان المفردات التي يذكرها الرهاوي في كتابه يصفها بقوله[1](ان اخلاط البدن الاربعة اذا كثرت وانصبت الى بعض اعضاء البدن ولم يمكن تلك الاعضاء احالتها بالنضج ليغتذي احالتها احالة لا تصلح للغذاء فتعفنت واحدثت ضروبا من الاورام والنزل والسلع بحسب جواهرها ولابد من ان يكون لها الوانا بحسب الوان الاخلاط الطبيعية والمناسبة لها والعلاج الصحيح لهذه هو اخراجها من الاعضاء بطرق مختلفة من انضاج وتليين ليتمكن الطبع فتحها او ليتهيأ للمعالج باليد فتحها او شقها واخراج المواد واستنظافها، فلعلم اهل الحيل الموهة وهم الذين يسمون الدستكارية بذلك احتالوا بلطف حيلة لعمل اجسام تشبه تلك المواد والاجسام التي

(1) ن م ص189.

تكون النزلات والاورام واحتالوا ايضا في اخفائها في افواههم وفي ايديهم وبين آلاتهم ليكونها ويظهرون انهم يستخرجونها اذا شاؤوا وبعد شق العضد الذي يقصدون لعلاجه ويعملون الحيلة في اظهار ذلك المستور المشابه للخلط بمصه بآلة لهم تسمى المذوقة فيخرجون ما يشبه المادة السوداوية ويسمون ذلك السورل ويستخرجون من آخرين ما يشبه البلغم والمدة المتغيرة وكذلك ما يماثل الخام في بياضه ويسمون ذلك الركاب ولعلمهم بان الاورام الصلبة والسلع قد تكون داخل مواد صلبة وعصبية وقد يتكون فيها دود ايضا وتتكون اورام تشبه السراطين في شكلها فلذلك احتالوا في عمل ماشابه ذلك واخفائه ثم استخراجه بعد الدلك من حيث اخفوه كأنه من العضو قد استخرج واسموه ذلك القدسان واما الدود المستخرج من الاذان وغيرها خاصة فاسمه عندهم الهقمان واما ما يستخرجونه من امثال هذه الاشياء بالقيء فيسمونه اللوي كذلك ايضا يستخرجون من انوف الصبيان شيء من جنس الاغذية يسمونه بلعا وليس احتاج الى ان اعدد تسميات هؤلاء اعمالهم هذه التي يسمونها التحرير مثل الورول الذي يستخرج به النواصير وكرد ارول الذي يظهر من حيلته استخراج مدة من اجفان العين من الجرب العارض لها وغيره وقد يستعين هؤلاء في حيلهم باعطاء ادوية قد اتخذوها معهم مخدرة ومنومة ليظهر لاهل المريض ومن حضره الراحة للمريض وسكونه من مرضه وبرؤه بعلاجهم فيستريحون للفائدة بذلك وكذلك قد يفعلون في اعطائهم ادوية مسهلة حارة كالشبرم ولبنه والمازريون واشباه هذه بغير علم منهم باصلاحها)

ومما يذكره المؤرخون للطب الاسلامي[1] قصة القتل بالإيحاء فيذكرون ان طبيبين من اطباء البلاط تنافسا لدرجة ادت بهما الى طلب المبارزة بتعاطي السم

(1) الطب العربي ص88.

واتفقا على ان يشرب كل واحد منهما السم الذي يحضره الآخر وان يقوم هو بتحضير الترياق الدواء المضاد للسم الذي شربه هو ايضا، فقام الاول بتحضير سم يذيب الحجر الاسود فشربه منافسه وشرب بعدها جرعة مضادة فأزالت مفعول السم، وجاء دور الثاني فلم يعطه سما كان قد احضره بل قطف وردة من الحديقة وقرأ عليها بعض التعاويذ ثم نفخ فيها وطلب الى خصمه ان يشمها وحين فعل هذا سقط في لحظته ميتا وان موته لم يكن من مفعول سم بل مجرد الخوف لانه لم يعرف كيف يزيل فعل التعاويذ) ويعلق المؤلف على ذلك بقوله – ولاشك في ان طريقة الإيحاء لعبت دورا كبيرا في العلاج في الطب العربي.

وتروى حالة اخرى عن العلاج بالوهم وهي عن ابن سينا يرويها الدكتور ادوارد جي براون فيقول ثم [1] (ان احد اعزة بني بويه اصيب بالماليخوليا فخيل اليه مع هذه العلة انه صار بقرة فكان يصيح كل يوم ويقول لهذا وذاك اذبحوني فان لكم من لحمي هريسة طيبة وبلغ به الامر ان امتنع كل الامتناع عن الاكل ومرت الايام وهو يتردى وقد عجز الاطباء عن معالجته وكان الاستاذ ابوعلي ابن سينا في ذلك الوقت وزيرا وقد اقبل عليه الشاهنشاه علاء الدولة محمد بن دشمنزيار فوضع الملك كله بين يديه تاركا جميع الامور لرايه وتدبيره، فلماعجز الاطباء عن معالجة هذا الشاب ذكروا قصته امام الشاهنشاه المعظم علاء الدولة والتمسوا شفاعته لدى الاستاذ ليعالجه فأشار عليه علاء الدين فقبل ثم قال بشروا هذا الشاب بان القصاب آت ليذبحه فقالوا له ذلك ففرح وركب الاستاذ في موكبه المعتاد الى قصر المريض ثم دخل مع رجلين والسكين في يده وقال:اين البقرة لأذبحها فقلد المريض الشاب خوار البقرة يعني انه هنا فقال الاستاذ جروها الى فناء

(1) ن م ص87.

القصر واوثقوا يديها ورجليها واضجعوها فلما سمع المريض هذا جرى وسط القصر واضطجع على جنبه الايمن فاحكموا وثاق يديه ورجليه ثم جاء ابوعلي وسن السكين ثم جلس ووضع يده على خصر المريض كعادة القصابين وقال ياهلما من بقرة هزيلة انه لايحل ذبحها اعلفوها حتى تسمن وقال فخرج ثم قال للرجال فكوا يديه ورجليه واحملوا اليه ما امر من طعام وقولوا له كل لتسمن سريعا وهكذا فعلوا ما امر الاستاذ فكانوا يحملون اليه الطعام فياكله ثم كانوا يعطونه ما امر به الاستاذ من الاشربة والادوية ويقولون له كل كثيرا فان هذا نافع تسمن عليه البقرة فكان يسمع وياكل على امل ان يسمن فيذبحوه وبعد ذلك بدأالاطباء يعالجوه كما وصف ابوعلي فكان ينقه شهرا بعد آخر حتى عوفي).

وتتعدد صور العلاج الوهمي هذا لدى اطباء الاسلام ولعل خير من نضربه مثلا هو ما ذكره ابن ابي اصيبعة في كتابه عيون الانباء في طبقات الاطباء عن ابي البركات هبة الله بن علي حيث يقول[1] (ومن نوادر اوحد الزمان في المداواة ان مريضا ببغداد كان قد عرض له علة المالينخوليا، وكان يعتقد ان على رأسه دنا وانه لايفارقه ابدا فكان كلما مشى يتحايد المواضع التي سقوفها قصيرة ويمشي برفق ولايترك احدا يدنو منه حتى لايميل الدن او يقع عن رأسه وبقي بهذا المرض مدة وهوفي شدة منه وعالجه جماعة من الاطباء ولم يحصل بمعالجتهم تأثير ينتفع به، وأنهى امره الى اوحد الزمان ففكر انه ما بقي شيء يمكن ان يبرأ به الا بالامور الوهمية فقال لأهله: اذا كنت في الدار فأتوني به،ثم ان اوحد الزمان امر احد غلمانه بان ذلك المريض اذا دخل اليه وشرع في كلامه معه واشار للغلام بعلامة بينهما ان يسارع بخشبة كبيرة فيضرب بها فوق رأس المريض علىبعد منه كأنه يريد

(1) عيون الانباء في طبقات الاطباء ص374.

كسر الدن الذي يزعم انه على رأسه واوصى غلاما آخر وكان قد اعد معه دنا في اعلى السطح انه متى رأى ذلك الغلام قد ضرب فوق رأس صاحب الماليخوليا ان يرمي الدن الذي عنده بسرعة الى الارض ولما كان اوحد زمانه في داره واتاه المريض شرع في الكلام معه وحادثه وانكر عليه حمله الدن واشار الى الغلام الذي عنده من غير علم المريض فاقبل اليه وقال والله لابد لي ان اكسر هذا الدن واريحك منه ثم ادار تلك الخشبة التي معه وضرب بها فوق رأسه بنحو ذراع وعند ذلك رمى الغلام الآخر الدن من اعلى السطح فكانت جلبة عظيمة وتكسر قطعا كثيرة فلما عاين المريض ما فعل به ورأى الدن المنكسر تأوه لكسرهم اياه ولم يشك انه الذي كان على رأسه بزعمه وأثر فيه الوهم أثرا بريء من علته تلك وهذا باب عظيم في المداواة وقد جرى امثال ذلك لجماعة من الطباء المتقدمين امثال جالينوس وغيره في مداواتهم بالاموارالوهمية).

المصادر والمرجع

1. علم النفس المعاصر د حلمي المليجي – دار المعرفة الجامعية – مصر.
2. غسل الدماغ – د فخري الدباغ–المؤسسة اللبنانية للنشر – بيروت.
3. تدريب الادراك الحسي القائق– د ميلان ريزل – بغداد.
4. المتلاعبون بالعقول– هربرت ا شيللر–عالم المعرفة – الكويت.
5. العقل والجسم – هربرت بنسن–دار المامون – بغداد.
6. الطاقة الإنساني– احمد حسين– المكتبة العصلاية – صيدا بيروت.
7. الحاسة السادسة والطاقة النفسية– د سليمان النجار – دار النهار للنشر – بيروت.
8. الطاقة النفسية–الانترنت.
9. التداوي بالإيحاء الروحي– د امين رويحة– دار القلم بيروت.
10. النفس– د علي كمال–دار واسط – بغداد .
11. الشفاء بالتنويسم المغناطيسي – عبد الحميد الجوهري – الشركة العالمية للكتاب .
12. حواسك الزائدة في خدمتك—هارولد شيرمان – مكتبة النهضة المصرية..
13. الطبيعة الخارقة– ليل واطسن – ترجمة خاصة جريدة الدستور .
14. قوة الفكر في الحياة العملية – وليم فالكير اتكينسون – بغداد.
15. تطوير المهارات النفسية– اناهيد هوفمان – بغداد.

16. طبيعة الإنسان في ضوء فسلجة بافلوف - د نوري جعفر-بغداد.
17. اللغة والفكر - د نوري جعفر-المغرب.
18. الغصن الذهبي - جو فريزر.
19. الامراض السيكوسوماتيكية- د محمود السيد ابو النيل - مكتبة الخانجي - مصر.
20. مدخل الى الطب النفسي- د الزين عباس عمارة - دار الثقافة بيروت.
21. السحر الاسود- يوسف ابو ليل-دار النسر - الاردن.
22. السحر وعلم النفس - د موفق الحمداني - بغداد.
23. علم النفس الإنساني - فرانك ت سيفين مكتبة الانجلو المصرية.
24. السيطرة على الدماغ الكترونيا- سامي احمد الموصلي مخطوط.
25. بيولوجيا الايمان- د محمد محمود عبد القادر -دار الشروق -مصر.
26. احياء علوم الدين - الغزالي- دار الفكر بيروت.
27. تنوير الاذهان من تفسير روح البيان - البروسوي- دار القلم بيروت.
28. وجوه من الاعجاز الموسيقي في القرآن- د محي الدين رمضان.
29. الفيلسوف وفن الموسيقى - جوليوس بورتنوري.
30. مختصر حياة الصحابة - الدهلوي- دار القلم بيروت.
31. عيون الانباء في طبقات الاطباء - ابن ابي اصيبعة- مكتبة الحياة - بيروت.

32. ادب الطبيب - اسحق بن علي الرهاوي- بغداد.

33. الطب العربي - د جون ادوارد- الشؤون الثقافية بغداد .

34. في ظلال القرآن - سيد قطب انتنت.

35. شخصيات استوقفتني- البوطي.

سامي أحمد الموصلي

الإيحاء

من السحر الى التنويم المغناطيسي

الى البرمجة اللغوية العصبية



دار المعتز للنشر والتوزيع

الأردن- عمان- شارع الملكة رانيا العبدالله- الجامعة الأردنية

عمارة رقم ٢٣٣ مقابل كلية الزراعة الطابق الأرضي

تلفاكس: ٠٠٩٦٢ ٦ ٥٣٧٣٠٢٥ ص ب: ١٨٤٠٣٤ عمان: ١١١١٨ الأردن

e-mail: daralmuotaz@gmail.com *e-mail:* daralmuotaz@yah00.com

